الكنانة وعلم المزيد

إعــداد
رائــد عابــد

رمضان/ 1446هـ - مارس/ 2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

[النمل: 19]

الإهداء

أُهدي كتابي "الكنانة وعلم المزيد"، إلى كل مَن آمن بالله ورسوله من العرب والعجم، وأخصُّ بالذكر أهل التفسير من الذين يجتهدون ليلَ نهار لمعرفة المزيد من عجائب وأسرار آيات الله عزّ وجل.

قائمة المحتويات

اقتباس ....أ

الإهداء ....ب

قائمة المحتويات ....ت

مقدمة 1

المبحث الأول: الكيدُ الشيطاني...................................2

أولًا: إبليس يسكن الجنة 3

ثانيًا: الشجرة وما طبيعتها؟ 4

ثالثًا: سوءاتهما...4

رابعًا: التحذير والوقوع في الخطأ....................................5

خامسًا: الوسوسة..6

سادسًا: الأكل والجنس 7

سابعًا: سيطرة الشيطان..8

ثامنًا: التوبة عليهما 9

تاسعًا: الشيطان وإرادة الله 9

المبحث الثاني: إبليس والشيطان................................ 11

المبحث الثالث: لباسًا وريشًا.................................. 15

أولًا: اللباس الذي يواري السوءة 17

ثانيًا: الريش 17

ثالثًا: لباس التقوى.. 17

المبحث الرابع الأرض الموروثة............................... 19

أولًا: الأرض الموروثة 20

ثانيًا: الميراث الأصغر 21

ثالثًا: لا ميراث لهم... 22

رابعًا: الأرض المقدسة 23

المبحث الخامس: كانوا مؤمنين 26

المبحث السادس: وعد الآخرة 32

المبحث السابع: السماء والجنة 39

أولًا: سارعوا 39

ثانيًا: سابقوا 40

المبحث الثامن: سر النجم 43

المبحث التاسع: معانٍ قرآنية.................................. 45

1- ألقى: 45

2- القذف:.. 45

3- النبذ:.. 46

4- البِر:... 47

5- الفجور:... 47

6- الكيد:... 47

7- المكر: 48

8- الوهن: 48

المبحث العاشر: كان على السفينة........................ 51

المبحث الحادي عشر: أيدي النسوة........................ 55

المبحث الثاني عشر: سر الشجرة........................ 60

المبحث الثالث عشر: أتموا الصيام........................ 64

أولًا- أحل لكم: 64

ثانيًا- أتموا الصيام:.. 64

المبحث الرابع: عشر المرأة والزوجة........................ 66

أولاً: الزوجة: 66

ثانياً: المرأة: 67

المبحث الخامس عشر: العام والسنة........................ 70

أولًا : السَّنة.. 70

ثانيًا: العام.. 70

المصادر والمراجع 74

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وبعد:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَرِ: 9].

فهذا كتاب "الكنانة وعلم المزيد"، أبعث به إلى كل مَن أحب الله عزّ وجلّ، وأحب رسوله ﷺ وعباده الصالحين، وهو عبارة عن مجموعة من التفسيرات الجديدة والمختصرة لبعض الآيات القرآنية، بشكل مبسط يجذب القارئ، وقد قمتُ بتقسيم الكتاب إلى خمسة عشر مبحثًا، وهي:

1. الكيد الشيطاني
2. إبليس والشيطان
3. لباسًا وريشًا
4. الأرض الموروثة
5. كانوا مؤمنين
6. وعد الآخرة
7. السماء والجنة
8. سرُّ النجم
9. معاني قرآنية
10. كان على السفينة
11. أيدي النسوة
12. سرُّ الشجرة
13. أتموا الصّيام
14. المرأة والزوجة
15. العام والسنة

لقد حاولت واجتهدت كثيرًا في البحث عن حقيقة التفسير الصحيح للآيات المتعلقة بهذه المباحث، وبعض الألفاظ القرآنية؛ لاكتشاف أسرارها الخفيّة، وكنوزها العظيمة، حتى هداني الله لهذا الكتاب، وقد تحرّيت صحة ما ذكرته من تفسيراتٍ على قدر استطاعتي، مسترشدًا بعد الله عزّ وجل، من القرآن الكريم والسنة النبوية، والعديد من كتب التفسير، وفي الختام، أدعو الله عزّ وجل أنْ يتقبل منّا ومنكم، وأنْ يعفو عن زلاتنا.

ربّ اغفر، وارحم، واعف، وتكرّم، وتجاوز عمّا تعلمُ إنّك أنت العزيز الأكرم.

المبحث الأول
الكيدُ الشيطاني

عندما نتكلم عن الكيد الشيطاني، نقصد به كيده وعداوته الخبيثة وغير المتوقعة منه لأبينا آدم وأمنا حواء –عليهما السّلام–، وذلك عندما نجح في الإيقاع بهما بكشف سوآتهما، ونَزَع لباسهما عنهما، عندما تحركت بهما الشهوة تجاه بعضهما البعض، وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن هذه الخديعة الشيطانية:

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: 20]

قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121]

لمزيد من التوضيح:

عندما نقرأ "ليبدي لهما"، فهي تعني ظهور ومعرفة شيء غير معروف من قبل بشكل مفاجئ وغير متوقع، وكذلك الحال نفسه في كلمة "فبدت لهما"، وهنا يتأكد لنا أنَّ الشيطان –لعنه الله– هو الذي سارع لإخبارهما بحقيقة سوآتهما عندما استدرجهما لتناول الثمار من الشجرة، ولكي نعرف الحقيقة –بإذن الله– كما حصلت، والله أعلى وأعلم، يجب علينا تفصيل الأحداث من بدايتها:

فالله سبحانه وتعالى عندما خلق آدم عليه السلام، وأمر الملائكة بالسجود له، بمعنى أنه أمر أهل السماء بذلك، بمن فيهم إبليس –لعنه الله–؛ لأنَّه كان يسكن الجنة ومتواجدًا بين الملائكة، ولكن عندما رفض الأمر الإلهي وتعالى عليه، وذلك بحجة أنه خلق من نار، وآدم –عليه السّلام– خلق من طين، من هنا بدأت الأحداث، وهي كالآتي:

أولًا: إبليس يسكن الجنة

الحقيقة أنَّ الجنة التي كان يسكنها إبليس هي نفسها التي أمر الله آدم وزوجه أمنا حواء بالسكن فيها، وهي قد تكون مكانًا محدودًا داخل الجنة الكبيرة التي وعدنا الله بها، سميت بالاسم نفسه؛ لكثافة الأشجار فيها ومن حولها، مما أعطاها طابع السترة وعدم الانكشاف على الآخرين، وما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف: 19]

وهذا الأمر الإلهي جاء لآدم –عليه السلام– وزوجه بالسكن فيها بعد خروج إبليس منها، وذلك في قوله تعالى:﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ [الأعراف: 13]

لقد كان أول رد من إبليس على الله سبحانه وتعالى بعد إخراجه من الجنة هو في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الأعراف: 16]

والحقيقة أنَّ كلمة (أغويتني)، تعني فقط تقليل الشأن والقيمة، وذلك بسبب الانحراف والضلال عن الحق؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى تنزّه عن الظلم، وأنْ يكون سببًا في هلاك مخلوق أيًا كان ذلك المخلوق حتى إبليس

نفسه، ولكن من المتعارف عليه أنَّ الذي ينحرف ويتكبر ويتعالى على الحق تكون عقوبته التقليل من شأنه وأهميته وقيمته.

ثانيًا: الشجرة وما طبيعتها؟

الحقيقة ليس هناك أي شيء تمتاز به تلك الشجرة عن غيرها من الأشجار الأخرى سوى ثلاثة أمور، وهي:

1- وجودها خارج حدود الجنة التي أمر الله أبونا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام- السكن فيها، ولكنها لم تكن بعيدة عنها.

2- لا تمتاز الشجرة المذكورة بأدنى درجات السترة لمن يصل إليها، ويقف بجوارها أو يجلس تحتها، على خلاف الجنة المليئة بالأشجار الكثيفة، والتي يصعب على الآخرين رؤية مَن بداخلها.

3- وجود الشيطان بالقرب منها، ويستطيع رؤية مَن يصل إليها بوضوح، على خلاف الجنة التي لا يستطيع الاقتراب منها عقب الأمر الإلهي له بالخروج منها، واستبداله بأبينا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام-، وذلك في قوله تعالى: "قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا".

إذن، لا يوجد ما يميز تلك الشجرة عن غيرها سوى هذه الأمور الثلاثة، ولا يوجد سر في ثمارها أو شكلها أو مذاقها على الإطلاق.

ثالثًا: سوءاتهما

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: 20]

الكثير اعتقدوا بل وأجزموا أنَّ السوءة المذكورة في كتاب الله لكلٍ من آدم وأمنا حواء –عليهما السلام– هي العري من لباسهما، ورؤية كل واحد منهما سوءة الآخر، ولكن هذا الأمر غير صحيح؛ لأنه من الطبيعي أنْ يرى الإنسان سوءته "الأعضاء التناسلية" أو سوءة زوجته، ولكن المقصود هو ليس السوءة، بل ما ووري عنهما من سوآتهما كما قال تعالى: "لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا".

والحقيقة هي أنَّ الله سبحانه وتعالى عندما أمرهما بالسكن في الجنة لم يكونا يعلمان أنه خلقهما سبحانه وتعالى لتكون منهما ذرية، ويتطلب ذلك منهما التزاوج وعلاقة جنسية بينهما بالشكل المتعارف عليه في الدنيا، وذلك لأنَّ مَن حولهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزاوجون، فمن أين لهم معرفة ذلك الأمر؟، والله لم يطلعهما عليه، ولم يحرك فيهما الشهوة مثلهم كمثل الأطفال لا يعلمان أي شيء عن هذا الأمر، وما يؤكد ذلك قوله تعالى: "لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا".

فهما أصلًا لم يعرفا حقيقة سوءاتهما بالكامل، فقد أخفى الله ووارى عنهما الجزء الآخر من عمل سوءاتهما، وذلك بعدم تحريك الشهوة عندهما كما ورد في الآية السابقة الذكر.

رابعًا: التحذير والوقوع في الخطأ

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: 35-36]

لقد حذّر الله سبحانه وتعالى كلًا من سيدنا آدم وأمنا حواء –عليهما السلام– من الشيطان وكيده وخداعه ومكره، وأكّد لهما سبحانه وتعالى البقاء في الجنة التي تمتاز بكل وسائل السترة والحشمة وعدم الانكشاف على الآخرين، كما أنَّ فيها كل ما يتمنونه من مأكل ومشرب، ولهما الحرية المطلقة في ذلك، ولكن في حدود الجنة، محذرًا جلّ في علاه إياهما الاقتراب من تلك الشجرة الوحيدة، والتي كانت موجودة بالقرب من الجنة، ولكن الشيطان علم ما لم يعلمانه عن نفسيهما وسارع إليهما عبر وسوسته لهما أنَّ تلك الشجرة فيها من الخير العظيم؛ مما دفعهما لمخالفة الأمر الإلهي بالاقتراب والأكل منها.

خامسًا: الوسوسة

لقد سارع الشيطان موسوسًا لأبينا آدم وأمنا حواء –عليهما السلام– أنَّ لتلك الشجرة فوائد عظيمة يجب عليهما المسارعة إليها لاغتنامها، والحصول عليها، حيث استغل الشيطان قدرته بتعزيز حب الفضول لديهما، وزيادة الرغبة عندهما في الوصول إليها، ولمعرفة طبيعتها، وذلك عبر قدرته على الاطلاع على ما في صدريهما من الرغبة والميول لتلك الشجرة؛ مما دفعه للوسوسة لهما، وذلك لإنجاح خطته وما يصبو إليه، وفعلًا، نجح الشيطان في استدراجهما إلى تلك الشجرة لكي يتمكن من رؤيتهما عن قرب، والحقيقة أنَّ الشيطان كان ما يزال في جنة السماء ولم يخرج منها نهائيًا، ويتابع ويراقب الأحداث من كثب؛ مما سهّل عليه تنفيذ مخططه للإيقاع بهما، وما يؤكد ذلك عقب حدوث الحادثة قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: 36]

وقوله تعالى: ﴿قال إهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 123]

في هاتين الآيتين السابقتين، تأكيد أنَّ الشيطان كان ما يزال في الجنة ولم ينزل إلى الأرض إلا بعد حدوث الحادثة، ونزوله كان يتوافق مع نزول أبينا آدم –عليه السلام–، ونزول العداوة بينهما من السماء إلى الأرض.

سادسًا: الأكل والجنس

هناك علاقة كاملة ومتكاملة بين المأكل والمشرب والتزاوج "العلاقة الجنسية"، فكل المخلوقات التي تأكل وتشرب لديها تزاوج وجنس لكي تتكاثر وتتناسل، ولا يمكنها بغير ذلك البقاء، ولكن على العكس من ذلك، نجد أنَّ الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا يوجد بينهم تزاوج ولا شهوة، من هنا نقول أنَّ الله سبحانه وتعالى عندما أمر أبينا آدم وزوجه أمنا حواء –عليهما السلام– بالسكن في الجنة، وأنْ يأكلا منها حيث يشاءان، علم الشيطان–لعنه الله– أنَّ آدم –عليه السلام– سيمكث في الجنة وتصبح له ذرية في حال أكل من ثمارها وشرب من مائها، وذلك لأنَّ الشهوة سوف تتحرك به هو وزوجه على الفور بمجرد الأكل، وأنه سوف يصبح بينهما تزاوج؛ مما دفعه –لعنه الله– للاعتراض على قدر الله في آدم –عليه السلام– وزوجه، وذلك باستباقه للأمر الإلهي، ووسوسته لهما بأنْ يخرجا من الجنة قبل أنْ يأكلا منها شيئًا، وأنْ يقتربا من الشجرة المكشوفة، وغير محاطة بما يستر مَن يقف أو يجلس عندها، وأنْ يأكلا منها، وفعلًا كان أول ما أكلاه هو من ثمار الشجرة، وليس من ثمار الجنة؛ مما أدى إلى أمور عدة:

1- اندفاع الشهوة من كليهما تجاه بعضهما البعض مباشرة عقب تناولهما من ثمارها مذاقًا وأكلًا، وبالتالي كُشف لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما؛ أي حدوث علاقة جنسية بينهما عند الشجرة والله أعلم.

2- استطاعة الشيطان نزع لباسهما عنهما دون وجود ما يتسترون به عند الشجرة، بخلاف الجنة التي كما سبق وقلنا أنها تمتاز بجميع وسائل السترة والحشمة، وقد سمى الله ذلك انتزاعًا؛ لأنه مخطط وكيد من الشيطان لم يكونا يعلمانه، قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا**﴾ [الأعراف: 27]

3- رؤية الشيطان لهما وهما على حالهما دون لباس؛ بل وأخذه لباسهما دون أنْ يستطيعا رؤيته كما قال تعالى:﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾ [الأعراف: 27]

4- عقب الانتباه لنفسيهما اندفعا صوب الجنة طلبًا للسترة والحشمة، كما قال تعالى: ﴿**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: 22]

سابعًا: سيطرة الشيطان

عندما استطاع الشيطان استدراجهما إلى تلك الشجرة والأكل منها، وحصول ما قد حصل بينهما، عندها أصبح وجودهما في الجنة عرضة مستمرة لخداع الشيطان ووسوسته، فقد استطاع السيطرة عليهما داخليًا عبر وسوسته لهما، وقدرته على الاطلاع على ما يجول في صدريهما، وكذلك

خارجيًا عبر رؤيته لهما دون لباسهما، وتأثير الشهوة عليهما، وكذلك الحال نفسه لذريتهما فيما بعد مما جعل وجودهما في الجنة مستحيلًا.

ثامنًا: التوبة عليهما

تنزّه الله سبحانه وتعالى عن الظلم، فهو جلّ في علاه يعلم كيد الشيطان وعداوته بغير حق لآدم وأمنا حواء -عليهما السّلام-، فتاب عليهما في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 23]

وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37]

وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122]

ولكن عقب التوبة عليهما، كان لا بُدَّ لهما الهبوط من الجنة إلى الأرض لإكمال الصراع بينهما كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: 123]

تاسعًا: الشيطان وإرادة الله

الحقيقة أنَّ الشيطان مخلوق كغيره من المخلوقات، لا يمكنه الخروج عن إرادة الله بكيده وخداعه لآدم وزوجه -عليهما السّلام-، وتهديده ووعيده لذريتهما من بعدهما، ولكن الله بعدله ورحمته تركه يفعل ما يشاء من الكفر والبعد عن سبيل الله، ومحاربة طريق الخير، والتسبب بخروج أبينا آدم وأمنا حواء من الجنة، وفتح جبهة من الصراع الدائم إلى يوم القيامة، فالله جلّ

جلاله ترك إبليس وأمهله إلى يوم القيامة؛ ليريه مدى ضعفه وقلة حيلته، ومصيره المحتوم إلى نار جهنم، وهنا تتبيّن أمور عدة، وهي:

1- الإمهال صفة إلهية مع إبليس وغيره من المخلوقات، فنحن نرى الكثير من الظَلمة والمجرمين الذين يفعلون ما لا يمكن تصوره من الجرائم بحق البشر الأبرياء، ولكن الله سبحانه وتعالى يتركهم ويمهلهم لوقت معلوم في الدنيا أو في الآخرة .

2- الله سبحانه وتعالى أراد أنْ يظهر حقيقة هذا المخلوق أمام الملائكة؛ لأنهم كانوا يعتقدون فيه الخير والصّلاح والإيمان.

3- أراد الله سبحانه وتعالى أنْ يكون دخول الجنة بجدارة وتعب واجتهاد وإيمان حقيقي، واتّباع لأوامره واجتناب لمعاصيه.

4- أراد الله سبحانه وتعالى تعذيب هذا المخلوق العاصي المتكبر بغير حق، وإهانته، والتقليل من شأنه باستمرار، وذلك بتحطيم إنجازاته، وفتح باب التوبة لكل مَن أرادها من بني آدم.

5- أمهله الله عزّ وجل لكي لا يعتقد في نفسه الانتصار، فأراد سبحانه أنْ يريه بنفسه حقيقته وحجمه وضعفه أمام الخالق عزّ وجل.

المبحث الثاني
إبليس والشيطان

الحقيقة أنّه لا فرق بين إبليس والشيطان، فإبليس هو الشيطان، والشيطان هو إبليس، ولكن هناك مَن يعتقد خلاف ذلك، وهو أنَّ إبليس هو الاسم القديم، والشيطان من أبنائه، وسنذكر بعض ما قيل في كتب التفسير:

من هذا القول نستطيع بالفعل أنْ نفرق بين كل من الشيطان والجن وإبليس، إذ يعد الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ إبليس الملعون هو زعيم الشياطين الأكبر، وأبيهم الملعون، وعلى هذا فإنَّ كلمة إبليس قد ارتبطت بالشياطين والمردة، والشيطان قد ورد ذكره في القرآن الكريم مفردًا وجمعًا، وقد جاء مفردًا في التنزيل المكي 33 مرة، ومفردًا في التنزيل المدني 28 مرة، كما ورد جمعًا في التنزيل المكي 15 مرة، وفي المدني 3 مرات.

لكن الحقيقة أنَّ الأمر بسيط للغاية، ولا فرق كما ذكرت سابقًا بين إبليس والشيطان، وللتوضيح أكثر سنذكر بعض الآيات التي ورد فيها اسم إبليس، ومنها ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 34].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11]

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 31]

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: 32]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: 50]

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 20]

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: 75]

الحقيقة أنَّ اسم إبليس عندما نقرأ الآيات السابقة وغيرها من الآيات الأخرى المذكور فيها اسمه، نجد فيها أنَّ لغة الخطاب والحوار كانت بينه وبين الله عزّ وجل، ولم يذكر الله ولو آية واحدة - والله أعلم فيها-، كان الخطاب فيها بينه وبين الشيطان، مما يؤكد أمرين، وهما:

1- اسم إبليس يدل على الجحود والكبرياء والتعالي والتمرد، والاستعلاء على الأمر الإلهي.

2- اسم إبليس كان يطلق في البداية عندما كان يشعر في نفسه القدرة على النجاح والتحدي وتحقيق ما يصبو إليه.

أما الشيطان سنذكر أيضًا بعض الآيات التي ورد فيها ذكره:

قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: 17]

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: 3]

قال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: 7]

قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: 25]

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: 36]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: 63]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: 21]

الأمر هنا قد اختلف كليًا، فعندما يذكر الله سبحانه الشيطان كما هو الحال في الآيات السابقة، نجده يتحدث عن علاقته بآدم -عليه السلام- وزوجه وذريتهما من بني آدم، ومحاولاته المستمرة للإيقاع والانحراف بهم عن الفطرة السليمة وطريق الحق، ولفظ الشيطان في كل آية من آيات الله يدل على الضعف الكبير لديه، وتخطيطه الخفي باتباع جميع الوسائل والطرائق المتنوعة لتدمير بني آدم وجرهم لعصيان ربهم، وذلك لأنها تخلو من الكبرياء والعظمة والتباهي والغرور لديه، ولكن على العكس تمامًا، فهو يحاول ويتودد ويتقرب ويزين لبني آدم من أجل تحقيق ما يريد، وما يؤكد ضعفه وقلة حيلته قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48]

لماذا سُمي بالشيطان؟!

الحقيقة أنَّ تسميته بالشيطان لها أكثر من دلالة:

1- ضعفه واحتراقه الدائم من الفشل، وعدم النجاح أمام التوبة الإلهية على بني آدم.

2- استشاطته وغضبه الشديد من تعامله مع بني آدم؛ لأنّ العدو لا يمكن أنْ يخاطب عدوه إلا وهو يشعر بالغيظ والاحتراق والغضب منه، وذلك من شدة الكراهية والعداوة التي يشعر بها تجاهه.

وكذلك نجد أنَّ بعض الآيات تتحدث أيضًا عن محاولاته وذريته استراق السمع من أهل السماء ولكن بشكل ضعيف وهزيل، ومحارب من كل جانب، دون قدرته على تحقيق أي نوع من أنواع النجاح، ولكنها محاولات نسبة نجاحها تقترب من العدم.

المبحث الثالث
لباسًا وريشًا

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26]

لقد تبيّن لنا من قراءة هذه الآية ثلاثة أنواع من اللباس، وهي:

1- اللباس الذي يواري السوءة.

2- الريش.

3- لباس التقوى.

وقد حاول الكثير من العلماء إعطاء تفسيرات واضحة وواقعية تتطابق مع حقيقة هذه الآية، ولا شكّ أنّ الكثير منها كان قريبًا جدًا من الحقيقة والواقعية، ولكن ما يزال الجزء الخفي منها يحتاج إلى توضيح أكثر، وتفسير أدق من التفسيرات الأخرى، وسنذكر بالتفصيل حقيقتها والمغزى منها، ولكن قبل ذلك سنذكر بعض التفسيرات والاجتهادات حول هذه الآية، ومنها:

أخرج ابن جرير عن عروة بن الزبير في قوله (لباسًا يواري سوءاتكم)

قال: الثياب، (وريشًا)، قال: المال، (ولباس التقوى) قال: خشية الله، وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن علي في قوله: (لباسًا يواري سوءاتكم)، قال: لباس العمامة، (ريشًا) قال: لباس الزينة، (ولباس التقوى) قال: الإسلام، وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ من طرق عن ابن عباس في قوله: (وريشًا) قال: المال واللباس، والعيش

والنعيم، وفي قوله: (ولباس التقوى) قال: الإيمان والعمل الصالح، (وذلك خير) قال: الإيمان والعمل خير من الريش واللباس، قال تعالى: "يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا"، سبب نزولها: أنّ ناسًا من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فنزلت هذه الآية، قال مجاهد: وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، ومَنّ الله علينا باللباس، وفي معنى (أنزلنا عليكم)، ثلاثة أقوال:

أحدها: خلقنا لكم.

الثاني: ألهمناكم كيفية صنعه.

الثالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباسًا.

هذه بعض التفسيرات لبعض العلماء، ومنها ما هو مأخوذ عن بعض الصحابة الكرام –رضي الله عنهم جميعًا– ولكن لمزيد من التوضيح حول هذا الموضوع نقول:

إنّ اللباس بدايته كانت في السماء (الجنة)، قبل نزوله على الأرض، قال تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ**﴾ [الأعرَافِ: 27]

ولكن الله سبحانه وتعالى أنزله على الأرض، وذلك لبني آدم (ذريته)، والنزول يحتمل أمورًا عدة:

1- أنّ الله فرضه وأوجبه علينا.

2- أوجد المسببات للحصول عليه.

3- جعله جزءًا من فطرة الإنسان.

ولكي نعرف الحقيقة والتفسير الصحيح لأنواع اللباس المذكورة في الآية الكريمة، يجب علينا توضيح كل منهم كالآتي:

أولًا: اللباس الذي يواري السوءة

الحقيقة أنَّ اللباس أصله الأول يعود لستره البدن، وأهمها ستره السوءة، والتي بدون سترها لا فرق بين الإنسان والحيوان، وقد أكّد الله سبحانه وتعالى ضرورة اللباس وعدم العري؛ لأنه ليس بالأمر الهيّن، فهو أمر موجود في السماء، وأنزله الله على الأرض، وذلك لعظم شأنه، وأي لباس لا يستر العورة والسوءة يكون منقوصًا لا قيمة له، والحقيقة أنَّ الله سبحانه وتعالى قد بدأ بهذا اللباس الذي يواري سوءاتنا؛ لأنه أول وأقل أنواع الستر على الإطلاق، وذلك لأنَّ أكثر ما يميزه ستر العورة (السوءة) دون سائر الجسد.

ثانيًا: الريش

الحقيقة أنَّ هذا النوع من اللباس هو الثاني في ستر السوءة وسائر الجسد، والمقصود به اللباس الخفيف؛ لأنَّ كلمة (ريشًا) كناية عن خفة اللباس المغطى به الجسد، وأيضًا هو من الأنواع التي لا تستر بالشكل الصحيح والمطلوب، ولكنه ضمن أنواع اللباس التي أنزلها الله على بني آدم.

ثالثًا: لباس التقوى

أما هذا النوع من اللباس هو المفروض والواجب علينا لباسه، وهو اللباس المستور الذي يستر الجسد بالشكل الكامل، ولا ينكشف منه شيئًا أمام

الآخرين، فالمقصود هنا من لباس التقوى السترة والسماكة من الملابس التي تستر بحق عورات وسوءات الناس بعضهم عن بعض.

إذن، الله سبحانه وتعالى جعل اللباس ثلاثة أقسام، وهي:

1- ما يستر العورة فقط، كما هو حال الإنسان القديم في بعض المناطق على الأرض.

2- اللباس الخفيف الذي يستر ولا يستر في آنٍ واحد، وقد يرتديه الكثير من الناس مما يجعل أجسامهم عرضة للانكشاف أمام الآخرين.

3- لباس التقوى، وهو لباس الحشمة والتستر الذي يخفي عورات الناس وأجسامهم عن بعضهم البعض، وأهم شيء من هذا اللباس التستر من الشيطان؛ لأنه هو مَن يسعى جاهدًا لتعرية بني آدم للتلذذ عليهم بانحرافهم عن الحق والفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: 37]

المبحث الرابع
الأرض الموروثة

الحقيقة أنَّ من سنن الله في الأرض تقلب الأمور، فلا يبقى القوي قويًا، ولا يبقى الضعيف ضعيفًا، إنَّ فرعون وقومه كانوا قومًا مجرمين فاسقين استحلوا دماء الضعفاء لدرجة أنهم سلبوهم كل معاني الحياة الكريمة، ولكن بسبب إصرارهم على الكفر والظلم وعدم تراجعهم واستمرارهم في التصدي لآيات الله وأنبيائه بكل الوسائل، وقتل كل مَن يريد الإيمان بالله ورسله، كان لا بُدَّ لهم من زوال، ومن المعلوم أنَّ الظالم حين ينتهي ويزول يترك من خلفه كل ما جمعه من أموال وكنوز وأبنية وقصور وجنات وزروع ومقام كريم، ومِن عدل الله في الأرض أنْ يجعل ذلك كله أو جزءًا منه من نصيب الضعفاء الذين كانوا يستضعفون في الأرض بغير الحق، وكانوا يذوقون على أيدي الظالمين أشد العذاب، وهذا ما حصل بالضبط مع فرعون وقومه، فالله عزّ وجل جعل لبني إسرائيل ميراثًا ما تركوه من مشارق الأرض إلى مغاربها، بجناتها وعيونها، وزروعها وكنوزها، ومقامها الكريم، كله كان من نصيبهم جزاءً من الله على ما صبروا، ولكن السؤال المطروح هو:

هل فعلًا لبني إسرائيل ميراث أم لا؟

الحقيقة أنَّ الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى مزيد من التوضيح والتفصيل في هذا الموضوع، ولكن قبل الخوض في التفاصيل، نؤكد أنَّ بني إسرائيل ليس لهم أي ميراث مما تركه فرعون وقومه أو في أي أرض أخرى، وذلك بناءً على ما ورد في كتاب الله عزّ وجل من الآيات التي سيتم ذكرها لاحقًا، وللتوضيح أكثر نقول:

أولًا: الأرض الموروثة

قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: 137]

الحقيقة أنَّ هناك اختلافًا واسعًا حول الأرض، وهل هي أرض مصر أم أنها أرض فلسطين المقدسة؟

الأمر لا يحتاج إلى كثير من الشرح والتفصيل في هذا الشأن؛ لأنَّ الأرض الموروثة لبني إسرائيل هي على إحدى أمرين:

1- هي الأرض التي تمتد من سيناء شرقًا إلى منطقة الدلتا (دلتا النيل القديمة)، بمعنى أنَّ الله سبحانه وتعالى أورثهم أرضًا كبيرة جدًا من أقصى الشرق إلى الغرب وصولًا إلى الجانب الشرقي لدلتا النيل؛ أي أنهم بجانب مصر مباشرة، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 87]

أي بيوتهم بجانب مصر من حدودها الشرقية إلى أقصى الشرق من سيناء، وهي أرض مباركة لا خلاف عليها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: 30]

ففي هذه الأرض بقعة مباركة ومقدسة من الله عزّ وجل.

2- الأرض الموروثة قد تكون من الجانبين الشرقي والغربي لمصر؛ أي أنها تمتد من جانبي دلتا النيل القديمة غربًا وشرقًا وصولًا إلى أقصى شرق سيناء.

أما مباركة الأرض، فقد تكون على إحدى أمرين، وهما:

1- مباركة مقدسة ومطهرة من الله عزّ وجل.

2- مباركة في كثرة الزروع والخيرات على هذه الأرض.

ثانيًا: الميراث الأصغر

عندما أخبر الله عزّ وجل عن ميراث بني إسرائيل في المرة الأولى كان كبيرًا جدًا من مشارق الأرض إلى مغاربها، ولكن بني إسرائيل لم يكونوا على درجة عالية من الاستحقاق للميراث الأكبر بسبب كفرهم وعصيانهم لله عز وجل، واستهزائهم بالأنبياء، وعدم طاعتهم قال تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [الأعراف: 138]

واستمر انحدارهم وفسقهم وجدالهم، وانحراف طبيعتهم وفطرتهم تدريجيًا، مما أوصلهم لعدم أهليتهم للحصول على ميراث وقيادة أرض بأكملها، لكن الله عزّ وجل لم يحرمهم إطلاقًا من ميراث فرعون وقومه عوضًا لهم عن تعذيبهم واستعبادهم، وكان الميراث في المرة الثانية أصغر من المرة الأولى قال تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الشعراء: 59]

فالميراث في المرة الثانية اقتصر على بعض ما كان تحت سيطرة فرعون وقومه من الجنات والعيون والكنوز، وليس الأرض بأكملها من مشارقها إلى مغاربها، كما هو الحال في المرة الأولى، وقد كان وجودهم بجانب مصر تحضيرًا من الله لهم لدخول مصر والسيطرة عليها بعد زوال فرعون وقومه، لكنهم لم يكونوا على درجة من الاستحقاق الإيماني تؤهلهم للسيطرة على كامل الأرض من مشارقها إلى مغاربها، أو حتى بالسيطرة على ما تركه فرعون وقومه من الجنات والزروع والكنوز ...إلخ.

ثالثًا: لا ميراث لهم

الحقيقة أنَّ الميراث على درجة الاستحقاق والإيمان، فمن الميراث الأكبر إلى الميراث الأصغر، وصولًا إلى لا ميراث لهم إطلاقًا؛ لأنَّ بني إسرائيل لم يتوقفوا عن الانحدار والكفر والضلال والعناد لدرجة عبادة العجل، والتطاول على الذات الإلهية، والاستهزاء بالأنبياء والرسل، والكفر بآيات الله وكتبه، وأكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾ [البقرة: 55]

إذن، لا بُدَّ وأنْ نعرف أنَّ الله عدل طيب، لا يقبل الخبيث، فأولئك القوم لم يستحقوا أبدًا أي شيء مما تركه المجرمون فرعون وقومه؛ لأنهم بكفرهم لم يختلفوا عنهم بشيء، فما الفرق بين فرعون وقومه، وبني إسرائيل الذين كفروا بالله ولم يؤمنوا به؟ مما نزع شرعية الميراث كليًا منهم، قال تعالى: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ [الدخان: 28]

في هذه الآية لا ميراث لبنى إسرائيل نهائيًا، وقد جعله الله سبحانه وتعالى في الآيتين السابقتين لبني إسرائيل، ولكن بسبب ما فعلوه واقترفوه من المعاصي والكفر والضلال المبين، وعبادة غير الله سبحانه وتعالى؛ كان لا بُدَّ أنْ يذهب ما تركه فرعون وقومه إلى قوم آخرين، وهم ليسوا بني إسرائيل ولم ينالهم الله بخير أبدًا من ميراث فرعون وقومه؛ لعدم أهليتهم لذلك.

رابعًا: الأرض المقدسة

الحقيقة أنَّ الله أراد لبنى إسرائيل حياة كريمة من الأمن والأمان والاستقرار، فكتب لهم الأرض المقدسة عوضًا لهم عن ميراث فرعون وقومه الذي ذهب منهم، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[المائدة: 21] ولكن المفاجأة غير المتوقعة هي رفض بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة، وعصيانهم لأوامر الله عزّ وجل ورسوله –عليه السلام–، وذلك لأنهم لم يريدوا الجهاد والقتال والتضحية في سبيل الله لأجل الحصول عليها وتملكها، فهم أصلًا لم يحافظوا على ميراث الله لهم من قبل دون قتال أو تضحية، فكيف بهم يقبلون ما يطلب منهم من الجهاد والقتال ودفع الأعداء؟

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 26]

هنا قد يعتقد البعض أنَّ التحريم هو فقط لأربعين سنة، ولكن في الحقيقة أنه تحريم دائم لا ينتهي بمرور الزمن؛ لأنَّ الآية الكريمة قد جمعت بين أمرين اثنين، وهما:

1- التحريم:

إنَّ الله عزّ وجل حرّم عليهم الأرض المقدسة بشكل دائم بعدما كتبها لهم، والتحريم بعد الكتابة يعني نزع للملكية.

2- العقاب:

بعدما حرّم الله عزّ وجل عليهم الأرض المقدسة بشكل دائم، أنزل عقابه عليهم، وهو التيه أربعين سنة.

إذن، المقصود هو ليس التحريم أربعين سنة فقط، ولكن التحريم مع نزع الملكية بشكل دائم والعقاب بالتيه أربعين سنة على رفضهم الأمر الإلهي، وهي المدة الزمنية التي ستنتهي معها ملكيتهم للأرض بشكل كامل دون أدنى حق لهم فيها، وأما دخولهم الأرض المقدسة فيما بعد فهي ليست للملكية، ولكن للجهاد والقتال في سبيل الله، وذلك لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وليس للتملك والسيطرة.

هنا سنذكر بعض ما ورد في كتب التفسير:

قال تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ**﴾ [الأعراف: 137]

يعني مكّنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم، وهم فرعون وقومه، كانوا قد تسلطوا على بني إسرائيل فقتلوا أبناءهم، واستخدموهم، وجعلهم مستضعفين، تحت أيديهم مشارق الأرض ومغاربها، يعني أرض الشام ومصر، وأراد بمشارقها جميع جهاتها ونواحيها، وقيل: أراد بمشارق الأرض ومغاربها الأرض المقدسة، وهو بيت المقدس، ويليه من الشرق والغرب.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: 28]

إنما يدل ذلك على السكان الباقين من بني إسرائيل والقوم الآخرين، ومنهم الليبيين والنوبيين في دلتا النيل الشرقيين والغربيين، ومن الذين لم يخرجوا مع موسى إلى سيناء والله أعلم.

أخيرًا:

الأرض المقدسة محرمة عليهم، ولا يحق لهم تملكها إطلاقًا؛ لأنَّ الشيء المحرم لا يمكن بأي حال من الأحوال تملكه والسيطرة عليه، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 210]

ففي هذه الآية كتب الله لهم الأرض المقدسة عوضًا لهم على ذهاب الميراث الأول والثاني منهم (ما تركه فرعون وقومه)، ولكن استحقاقهم وتملكهم لها يحتاج منهم إلى الجهاد والقتال والتضحية في سبيل الله، وذلك لتطهير قلوبهم من حب الدنيا والإفساد فيها، وفي حال عدم طاعتهم وعصيانهم ستكون النتيجة ذهابها منهم وخسارتهم لها، وفعلًا لم يستجيبوا لله ورسوله كما هو المتوقع والمؤكد حصوله منهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]

المبحث الخامس
كانوا مؤمنين

قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: 3]

لقد ذكر الله عزّ وجل أنَّ سورة يوسف من أحسن القصص في القرآن الكريم؛ وذلك لأنها تتكلم عن نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي –عليهم السلام جميعًا–، وكذلك لأنَّ جميع أو غالبية مَن ذكروا فيها كانوا مؤمنين موحدين بالله عزّ وجل، وما يؤكد ذلك أننا عندما نقرأ هذه السورة نلاحظ من بعض الآيات أنّ القوم الذين كان عندهم نبي الله يوسف –عليه السلام– كانوا مؤمنين بالله، بغض النظر عن هوية أولئك القوم التاريخية، وسنذكر العديد من الآيات التي ترجح إيمانهم بالله عزّ وجل، ومنها ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يوسف: 25]

قال تعالى:﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: 31]

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: 52]

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: 53]

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف: 54]

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: 55]

نلاحظ من الآيات السابقة ما يلي:

1- أنَّ الزنا أو التحرش عند أولئك القوم يعد جريمة وسوءًا يعاقب عليهما القانون.

2- تكرار الاستغفار من الذنوب في أكثر من آية.

3- تكرار لفظ الجلالة "الله" في أكثر من آية.

4- الاعتراف بالذنب والخيانة.

5- استخلاص الملك لنبي الله يوسف لنفسه.

6- طلب نبي الله يوسف -عليه السلام- من الملك منصبًا كبيرًا.

الحقيقة لا يمكن لملك كافر يعبد الأصنام أنْ يحتوي إنسانًا مؤمنًا عظيمَ الإيمان، ويستخلصه لنفسه دون أنْ يكون مثلهم، ويفعل السوء والسلوكات الكافرة والفاجرة كما يفعلون، وكذلك الحال نفسه لا يمكن لإنسان مثل نبي الله يوسف -عليه السلام- أنْ يطلب منصبًا للعمل في حكومة كافرة تعبد الأصنام، ولكن هناك مَن اعتقد أنَّ أولئك القوم كانوا كافرين عبدة أصنام، واعتمدوا على ذلك ببعض الآيات، وهي:

1- قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 37]

الحقيقة أنَّ هذه الآية لا يوجد فيها أي دليل على أنَّ أولئك القوم كانوا كافرين، وكذلك لم يرد ذكرهم فيها أصلًا؛ لأنَّ نبي الله يوسف –عليه السلام– كان يؤكد في هذه الآية عدم اهتمامه مطلقًا بأي ملة لأي قوم لا يؤمنون بالله وبالآخرة هم كافرون.

إذن، فهو –عليه السلام– كان يؤكد أنَّ أي ملة قوم لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة لا يعنيه شأنهم، ولا يهتم بهم، ويؤكد أنَّ ما يعنيه ويتبعه هو فقط ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب–عليهم السلام جميعًا– لأنها الملة الحق، وغير ذلك من الملل الأخرى باطل، موضوعٌ خلّفه "وراء ظهره"؛ لعدم أهميته وفائدته.

2– قال تعالى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]

الحقيقة أنَّ نبي الله يوسف –عليه السلام– كان يحاور فتيان من غير المؤمنين من قوم آخرين لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة، وهذا ما دفعه للحوار معهما عن الإيمان بالله الواحد القهار، وما يؤكد أنهما من قوم آخرين أنّ كلمة فتى في ذلك الزمان تعني العبيد والإماء الغرباء، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [يوسف: 62]

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [يوسف: 30]

قال تعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور: 33]

قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60]

في الآيات السابقة كلمة "فتى" بمعنى العبد أو الغريب، أما نبي الله إبراهيم فقالوا عنه فتى؛ لأنَّ ما قام به من سلوك غريب عنهم لا يمكن أنْ يقوم به أحد من قومهم.

إذن، فالحوار الذي دار بين نبي الله يوسف –عليه السلام– والفتيان وهم في السجن عن أي قوم لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة كان بشكل عام، وكذلك موجه لهما؛ لأنهما لم يكونا مؤمنين، والله أعلم، كما هو واضح من الآية السابقة أنَّ الفتيان لم يكونا مؤمنين بالله وهما من قوم آخرين، لأجل ذلك تكلم معهما لهدايتهما للإيمان بالله عزّ وجل، وقد يكون سر سجنهما في ذلك الوقت أنهما من غير المؤمنين والله أعلم.

3- قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ [غافر: 34]

الحقيقة أنَّ هذه الآية تتحدث عن مؤمن آل فرعون عندما حاول مع قومه بكل الوسائل والطرائق لكي يؤمنوا بالله، ولا يتعرضوا لنبي الله موسى –عليه السلام– وقومه خوفًا من عذاب الله، بالإضافة إلى تذكيرهم بالماضي البعيد، وعدم إيمانهم بدعوة نبي الله يوسف –عليه السلام– لهم.

هنا لا مجال للشك أنَّ القوم المذكورين في الآية هم الفراعنة على زمن نبي الله يوسف عليه السلام، وكفرهم بما جاءهم من البينات، وذلك بسبب الشك وعدم اليقين، والجدال والتكبر على آيات الله عزّ وجل، ولكن على الرغم من هذه الآية التي تؤكد كفر الفراعنة وجحودهم بآيات الله، وما جاءهم من البينات على لسان نبي الله يوسف عليه السلام؛ إلا أنَّ القوم الذين كان عندهم نبي الله يوسف وتربى ونشأ في بيوتهم وسجن في سجونهم، لم يكونوا الفراعنة، ولكنهم كانوا قومًا آخرين، وللتوضيح أكثر يجب أنْ نعرف طبيعة العلاقة بين نبي الله يوسف عليه السلام والفراعنة في ذلك الزمان:

1- مصر:

الحقيقة أنَّ مصر التاريخية المذكورة في القرآن الكريم هي على الأرجح -والله أعلم- المنطقة الجغرافية المسماة حاليًا دلتا النيل، ولكنها كانت أكبر بكثير مما هي عليه الآن من حيث المساحة الجغرافية، ويتفرع منها ما لا يقل عن سبعة أنهر، وكانت محط أنظار وأطماع الآخرين، ومصر على زمن نبي الله يوسف -عليه السلام- لم تكن تحت سيطرة الفراعنة، ولكنها كانت تحت سيطرة قوم آخرين، وهم الذين كان عندهم نبي الله يوسف -عليه السلام-؛ لأنهم كانوا مؤمنين موحدين بالله عزّ وجل.

2- خزائن الأرض:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]

لم يطلب نبي الله يوسف -عليه السلام- من الملك أنْ يجعله على خزائن مصر فقط، بل على خزائن الأرض، ولكن ما المقصود بالأرض؟

هل هي أرض مصر التاريخية المذكورة في القرآن؟ أم أنَّ هناك أراضٍ أخرى كانت تحت سيطرة القوم الذين كانوا يحكمون مصر في ذلك الزمان؟

لم يكن طلب نبي الله يوسف المسؤولية لأجل المسؤولية فقط، ولكن هناك ما هو أكبر وأعظم وهو توفيق الله عزّ وجل له لكي يستطيع الالتقاء بإخوته ووالديه بعد سنوات طويلة من البعد والحرمان، وكذلك لكي يتسنى له التعامل مع الفراعنة، ويؤدي رسالة الله عزّ وجل لهم بالإيمان والتوحيد، وكان تمركزهم في ذلك الوقت جنوب البلاد بعد هزيمتهم ودحرهم من مصر، ولكن لم يستطيعوا الانفصال عنها اقتصاديًا؛ لأنها كانت مركزًا تجاريًا واقتصاديًا إقليميًا ودوليًا في ذلك الزمان، مما اضطرهم للتعامل مع نبي الله يوسف – عليه السلام– الموكل بخزائن الأرض، وقد جاءهم بالبينات ودعاهم إلى الإيمان بالله والتوحيد، ولكنهم لم يؤمنوا واستمروا في شكهم وجدالهم حتى مات –عليه السلام– وهم على الكفر؛ بل وأظهروا فرحهم وارتياحهم من موته، واستبشروا بعدم مجيء رسول من بعده يتولى منصبه الكبير، ويكون مسؤولًا عن خزائن الأرض.

المبحث السادس
وعد الآخرة

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4]

العلو: التكبر والتعالي على الحق واحتقار الآخرين.

قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 31]

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83]

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]

الحقيقة أنّ الله عزّ وجل يتحدث في سورة الإسراء عن إفسادين فقط لبني إسرائيل يعقبهما علوًا في الأرض، وجميع التفسيرات تتحدث وتؤكد أنَّ الإفساد الأول قد حصل وانتهى، ولكن الإفساد الثاني لم يحصل إلى الآن، أو أننا نعيش أجواءه، ولكن الحقيقة مغايرة تمامًا؛ لأن الإفسادين قد وقعا في الماضي زمن بني إسرائيل؛ لأنَّ المقصود بهما رفضهم الأمر الإلهي للجهاد في سبيل الله مرتين باستعلاء وتكبر، والكثير من الآيات القرآنية تدلل على عذاب الله وإهانته المستمرة لبني إسرائيل (أهل الكتاب) بعد ذلك إلى يوم القيامة دون توقف إلا مَن آمن منهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: 167]

قال تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: 112]

ففي هاتين الآيتين دليل على ذل بني إسرائيل (اليهود والنصارى)، وما ورد فيهما يتنافى كليًا مع العلو بمفهوم السيطرة والجبروت والعظمة والتوسع بشكل دائم كما يعتقد البعض، فالعذاب الإلهي يلاحقهم في كل وقت وحين، ويحطم إنجازاتهم وانتصاراتهم بشكل دائم، وللتوضيح أكثر:

الإفساد الأول:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: 5]

الحقيقة أنَّ هذه الآية تتكلم عن وعد الله عزّ وجل لبني إسرائيل بالعقاب على تخاذلهم عن الجهاد في سبيله بتكبرٍ وعلو، ولكن لا نستطيع الجزم مَن هي الجهة التي تخاذل بنو إسرائيل في ذلك الوقت عن جهادهم وقتالهم ومواجهتهم نصرة للدين، والراجح أنْ يكونوا الفراعنة؛ لأنَّ بني إسرائيل كانوا يسكنون على الحدود بين الفراعنة والقوم الذين كانوا يسيطرون على مصر في ذلك الزمان، وكان صراعًا دائمًا بين الفراعنة الذين كانوا يتمركزون في الجنوب وبين القوم الذين كانوا يسيطرون على مصر في الشمال، وعلى أرجح الأقوال التاريخية أنهم الهكسوس، أو قوم آخرين استطاعوا في ذلك الوقت السيطرة على مصر المذكورة في القرآن (دلتا النيل قديمًا)، وبني

إسرائيل كانوا موالين لهم ضد الفراعنة دون أنْ يقاتلوا أو يجاهدوا في سبيل الله لدفع الخطر عنهم من الفراعنة، وكان ذلك من شأنه إفسادًا في الأرض وعلوًا وتكبرًا على الأمر الإلهي إنْ كان ذلك على لسان نبي لهم لم يذكره الله في كتابه أو كان يجب عليهم فعل ذلك دفاعًا عن الحق والدين، وفعلًا بسبب تخاذل بني إسرائيل عن قتال الفراعنة وجهادهم لدفع الضرر عنهم ما جعلهم يستحقون عقاب الله لهم بتسليط الفراعنة عليهم ليدمروا ويسيطروا على جزء من ديارهم، والفراعنة هم المقصودون في قوله تعالى: (عبادًا لنا)، وهي لا تعطي إشارة على الإيمان مطلقًا؛ لأنّ الكافر والمؤمن عباد لله عزّ وجل، والدليل على أنهم ليسوا بمؤمنين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6]

إذن، ليس من العقل والمنطق أنْ يكونوا من المؤمنين، والله عزّ وجل يؤكد نصره لبني إسرائيل بإعطائهم الأموال الكثيرة، والزيادة في أبنائهم، إلى جانب القوة التي جعلتهم يتفوقون ويتغلبون عليهم ويدحرونهم من ديارهم، ويستعيدوها منهم، وفي الحقيقة، الفراعنة لم يستطيعوا السيطرة على كامل ديار بني إسرائيل في ذلك الوقت، ولكن على جزء منها، قال تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: 5]

مثال: عندما أقول خلال عملي جاءني اتصال من صديقي فلان، هنا يكون الاتصال جزءًا من وقت العمل، ولم يأخذ الوقت كله؛ بمعنى أنَّ الفراعنة جاسوا؛ أي: دمروا وسيطروا خلال الديار؛ أي: على جزء منها، ولم يسيطروا عليها بالكامل، ولكن الله عزّ وجل أعاد الكرة لبني إسرائيل ونصرهم عليهم، ولكنهم لم يحافظوا على أنفسهم بالاستمرار في الجهاد ومحاربة

الأعداء ودحرهم بعيدًا عنهم، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: 7]

فالشيء الحسن هو الاستمرار في الجهاد، ومحاربة الأعداء، ونصرة الدين، وتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولكن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، واكتفوا بتحرير ديارهم مما جعلهم بعد فترة من الزمن فريسة للأعداء؛ لأنهم أساءوا ولم يحسنوا، فكانت عاقبتهم العبودية والاستعباد على أيدي الفراعنة بعد سيطرتهم على مصر المذكورة في القرآن الكريم (دلتا النيل قديمًا)، والله أعلى وأعلم.

الإفساد الثاني:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: 7]

التتبير: هو بمعنى النهاية السريعة لباطل استمر فترة طويلة من الزمن.

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: 39]

أي أنّ الله أنهى وجودهم وتكبرهم وتعاليهم الذي استمر سنوات طويلة بشكل سريع جدًا، وكأنهم لم يكونوا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 139]

بمعنى أنّ هذه العبودية لغير الله التي استمرت سنوات أو عقود أو لربما قرون من الزمن سوف تنتهي قريبًا بلحظات وكأنها لم تكن.

لقد أفسد بنوا إسرائيل في الأرض المرة الثانية عندما رفضوا الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين، ولتوضيح ذلك نقول:

بعد فترة من الزمن والعبودية على أيدى الفراعنة، لا سيّما فترة حكم فرعون مصر الذي أمر بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، أكرمهم الله بإرسال نبيه موسى ومعه أخيه نبي الله هارون –عليهما السلام–، وبعد معاناة طويلة تمّ تحريرهم من جديد، ودمر الله عزّ وجل فرعون وجنوده شرّ تدمير، وعاش بنو إسرائيل بجانب مصر التاريخية (دلتا النيل قديمًا) من الحدود الشرقية قال تعالى: ﴿**وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [يونس: 87]

الحقيقة أنَّ كلمة (بمصر) في هذه الآية تعني بجانبها، وليس بداخلها، والتبوء بمعنى (الاختيار)؛ أي التجهز لاختيار مناطق جديدة، وكانت هذه الآية إشارة إلى زوال ملك فرعون، وفعلًا انتهى فرعون وزال حكمه، وتحرر بنو إسرائيل من العبودية، ولكنهم لم يحافظوا على هذه النعمة العظيمة وانشغلوا بالكفر والجدال، ومعاندة الأنبياء، والشكوك المستمرة، والمطالب الغريبة، وبعد فترة من الزمن أراد الله أنْ يطهرهم من معاصيهم، فأمرهم على لسان نبيه موسى –عليه السلام– أنْ يتوجهوا للجهاد في سبيله لتحرير الأرض المقدسة من الكفار، ولكنهم رفضوا وتكبروا وعلو علوًا كبيرًا برفضهم وإصرارهم على عدم الجهاد في سبيله قال تعالى: ﴿**يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ**﴾ [المائدة: 21-22]

لقد طالبهم نبيهم موسى -عليه السلام- بأنْ يدخلوا الأرض المقدسة للجهاد في سبيل الله، ودفع الأعداء، وحذرهم من التخاذل والعصيان؛ لكي لا يحصل لهم كما حصل في الماضي، ولكنهم رفضوا أمر نبيهم بحجة أنَّ فيها قومًا جبارين، ولم يتوقف بهم الحال عند هذا الأمر من الرفض بل أكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿**قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ**﴾ [المائدة: 24]

لقد تحقق إفساد بني إسرائيل في المرة الثانية عندما رفضوا الجهاد في سبيل الله وعلو وتكبروا بغير الحق، كما ورد في الآية السابقة.

بعد هذا الإفساد الثاني لهم وعلوهم وتكبرهم بغير الحق استحقوا العقاب الإلهي من جديد، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ**﴾ [المائدة: 26]

بعد عقاب الله لهم سنوات طويلة من التيه، جاءهم وعد الآخرة، ولم يذكر الله عزّ وجل فيه أعداء يتسلطون عليهم كما هو الحال في الوعد الأول، ولكن في الوعد الثاني جعل الأمر من داخلهم، فالفئة المؤمنة منهم أساؤوا وجوه المعاندين المتكبرين الذين علو علوًا كبيرًا برفضهم الجهاد في سبيل الله، وتحرير الأرض المقدسة من الأعداء، وعندما أكرم الله الفئة المؤمنة منهم، ودخلوا الأرض المقدسة، وتمّ تحريرها من الأعداء على أيديهم، ودخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة بعزة وإيمان وأمن وأمان دون خوف من أي أعداء، وبهذا الأمر العظيم تمّ تحرير الأرض ودخول المسجد وإعادته كما كان أول مرة مكانًا مقدسًا للعبادة، تمت إساءة وجوه المعاندين المتكبرين منهم الذين رفضوا الجهاد في سبيل الله، وكذلك تمّ تتبير

ما علو تتبيرًا؛ أي بمعنى إنهاء علوهم وتكبرهم الذى استمر سنوات طويلة بشكل سريع جدًا وكأنه لم يكن عقب نجاح الفئة المؤمنة بتحرير الأرض ودخول المسجد الأقصى.

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8]

في هذه الآية دليل على أنّ الإفسادين قد حصلا في الزمن الماضي؛ لأنّ فيها رحمة من الله لهم على ما قد فعلوه سابقًا من التخاذل والعصيان إنْ استقاموا وأطاعوا الله وجاهدوا في سبيله نصرة للدين، وإعلاءً لكلمة التوحيد، وكذلك تحذيرًا لهم إنْ عادوا للباطل، فسيكون مصيرهم المتاعب والمعاناة، أما بعد مجيء رسول الله محمد –صلى الله عليه وسلم– ونزول القرآن الكريم، فلا رحمة من الله لليهود والنصارى (بني إسرائيل)، إلا بالإيمان بالله ورسوله.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104]

هذه الآية تتكلم عن وعد الآخرة لبني إسرائيل الذين سكنوا الأرض المجاورة لمصر التاريخية (دلتا النيل قديمًا) من حدودها الشرقية، وهذه الآية –والله أعلى وأعلم– تؤكد أنَّ الله عزّ وجل سيأتي ببني إسرائيل من مناطق شتى وبعيدة عن بعضها البعض، ويعيد تجميعهم بجانب بعضهم البعض بعد تفرقهم في التيه سنوات طويلة، ليدخلوا الأرض المقدسة، وهذا الأمر قد حصل فعلًا في الزمن الماضي كما تمّ توضيحه سابقًا.

المبحث السابع
السماء والجنة

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]

الحقيقة أنَّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأنْ نسارع إلى مغفرة منه وجنة عرضها السماوات والأرض أعدها للمتقين، ولمزيد من التوضيح حول هذا الموضوع نقول ما يلي:

لا شكَّ أنَّ الإسراع نحو هدف معين أو أمر ما يدلل على أكثر من شيء:

1- **أهميته البالغة:** لا يمكن الإسراع نحو اتجاه معين لبلوغ هدف ما إلا لكونه مهمًا وخاصًا للغاية بالنسبة لمن يتجه نحوه.

2- **بُعد المسافة:** الإسراع لبلوغ الشيء يدلل على بُعد المسافة؛ لأنه لو كان قريبًا لَما احتاج إلى السرعة.

3- **التركيز والاجتهاد:** الإسراع نحو الهدف يحتاج إلى كثير من التركيز والاجتهاد لبلوغه والوصول إليه، ولا يمكن أنْ يتحصل عليه بغير ذلك.

أولًا: سارعوا

عرضها السماوات والأرض:

الحقيقة أنَّ عرضها السماوات والأرض يقصد به أنَّ الجنة في حجمها وعظمها وكبر مساحتها تشبه حجم السماوات بالنسبة إلى الأرض، وليس كما يقال أنَّ الجنة عرضها عرض السماوات والأرض؛ لأنَّ إضافة الأرض ليس لها قيمة مساحية على الإطلاق تضاف إلى السماوات للزيادة

أو النقصان، ولكن الغرض هو التشبيه، والله سبحانه وتعالى أراد تشبيه العظيم بعظيم مثال: كأنْ نقول: المحيط عرضه عرض البحار والوادي، فالمقصود الإلهي واضح، ولا يحتاج إلى الكثير من التفسير والتأويل، وهو إيصال مثال حي يراه الناس جميعًا، وهو عرض السماوات المهول بالنسبة للأرض والتي تعد نقطة في بحر بالنسبة لها، هكذا هي الجنة في ضخامتها وعظم مساحتها.

الجنة للمتقين:

في هذه الآية يؤكد الله سبحانه وتعالى أنَّ الجنة أكبر بكثير من تشبيه السماوات بالنسبة إلى الأرض؛ وذلك لأنَّ منزلة المتقين لا يوجد لها حد وتشبيه دقيق يمكن الاعتماد عليه، فجعل الله منزلتهم مفتوحة، قال تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]

ثانيًا: سابقوا

قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: 21]

هنا قد اختلف الأمر كليًا، فالله عزّ وجل يؤكد أنّ الجنة التي أعدها للذين آمنوا بالله ورسله حجمها كعرض السماء بالنسبة إلى الأرض، ولمزيد من التوضيح سنذكر بعض الأمور المهمة للغاية، وهي:

هناك فرق كبير بين السرعة والسباق، فلم يقل الله عزّ وجل (وسارعوا)، ولكن (سابقوا)، وذلك لأسباب عدة:

1- المسابقة تكون للحصول على الشيء القريب وسهل المنال، والحقيقة أنَّ كلمة (سابقوا) تدل على قرب المغفرة والجنة، وسهولة الوصول إليها، ولا تحتاج إلى الكثير من التعب والمشقة.

2- المسابقة فيها المشاركة أكبر: لا شكَّ أنَّ المسابقة مفتوحة للجميع، وفيها المنافسة أكبر؛ لسهولتها وعدم خصوصيتها، وهي في متناول الجميع.

- الفرق بين الجنتين:

لقد ظهر لنا جليًا الفرق بين الجنتين؛ فالأولى عرضها عرض السماوات والأرض وأكبر من ذلك في التشبيه، وهي خاصة بالمتقين، وهم أصحاب الدرجة العالية من الإيمان والإخلاص، أما الثانية ففيها الجنة أكثر تشبيهًا وتحديدًا، فعرضها كعرض السماء والأرض، ولكنها للجميع لكل مَن يؤمن بالله ورسله.

الخلاصة:

الآية الأولى: دليل على علو الجنة والمنزلة، وكأنَّ الله يتكلم عن أعلى درجاتها، وهي خاصة بالمتقين، وطريق الوصول إليها ليس من السهل، وليس في متناول الجميع، ولكن لمن يبذل الكثير من الجهد والاجتهاد حتى يستطيع بهما الوصول إلى هذه الدرجة العظيمة، وهي فوق الوصف والتشبيه، وبالتالي فإنَّ الأمر يحتاج إلى السرعة؛ وذلك لأنها طريق طويلة.

الآية الثانية: الأمر يختلف تمامًا، فهي قريبة جدًا من الناس، ويمكن الوصول إليها بأسهل الطرائق بمجرد الإيمان بالله ورسله، وهذا الأمر ليس صعبًا، وهو في متناول الجميع، والكلام هنا في أدنى درجاتها، والتي لا

تحتاج من الآخرين سوى الإيمان فقط، وتأدية العبادات المفروضة بدون بذل الكثير من الجهد والاجتهاد في العبادات، وذلك بسبب قربها وسهولة الوصول إليها.

وسنذكر بعض ما ورد في كتب التفسير عن ذلك:

قال تعالى: "وسارعوا": أسرعوا، ورواه ولد عامر وسواه؛ سارعوا لا (واو) له. (إلى مغفرة من ربكم) المراد: إلى عللها اصطلاح المرسل كالإسلام وسائر أحكامه أو أمره، وعكسها، وجنة عرضها السماوات والأرض لوصل أحدهما إلى أحدهما، لحصل الأمر كما حرر والطول لا حد له، والمراد كما وسعها (أعدت للمتقين) لكل سالك على مسلك أوامر الله.

لقد ذكر السيد الطبطبائي في تفسير الميزان في قوله تعالى: "سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض".

المسابقة هي المغالية في السبق للوصول إلى غرض بأنْ يريد كل من المتسابقين جعل حركته أسرع من حركة صاحبه.

المبحث الثامن
سر النجم

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: 1]

الحقيقة أنّ القسم بالنجم لتعظيم شأن المقسوم لأجله، وهو نبينا محمدﷺ ولكن لكي نعرف التفسير الصحيح –والله أعلى وأعلم– لهذه الآية نذكر أولًا بعض ما جاء في كتب التفسير:

أخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن مجاهدرضي الله عنه في قوله (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ)، قال: الثريا إذا غابت، وفي لفظ إذا سقطت مع الفجر، ولفظ قال: الثريا إذا وقعت.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ)، قال: الثريا إذا تدلت. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ)، قال: إذا انصب. وأخرج عبد الرزاق عن الحسن رضي الله عنه (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ)، قال: إذا غاب. وأخرج ابن جرير عن جرير عن مجاهد رضي الله عنه (وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ)، قال: القرآن إذا نزل.

ولكن الحقيقة هي كالآتي:

فالله سبحانه وتعالى ينفي بشكل كامل ومطلق وغير مسبوق عن نبينا محمد ﷺ أي باطل أو ضلال أو انحراف؛ لأنه كامل الصفات الحسنة، ولأجل تأكيد ذلك أقسم الله عزّ وجل بالنجم وهو شيء أكبر من تصورات وعقول البشر، ولولا أنَّ الأمر عظيم وبالغ الأهمية ما أقسم سبحانه عزّ وجل به، فالله يؤكد في كتابه العزيز أنَّ الرسول محمد فوق الشكوك والشبهات، وأقسم لو

أنَّ النجم العظيم هوى من السماء، وهذا ما لا يمكن حصوله، وهو سبحانه القادر على كل شيء ولكنه أهون عنده عزّ وجل من اتّهام رسوله بالضلال والانحراف، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]

فالنجوم والكواكب لا يمكن أنْ تتساقط وتهوى؛ لأنها تسبح في فلك بانتظام دون أي خلل، لكن إنْ كان الأمر يتعلق برسول الله محمد ﷺ فيمكن تصديق واستيعاب أنْ تهوى النجوم وتغيب وتتساقط من مكانها، ولكن ما لا يمكن تصديقه واستيعابه أنْ يكون رسول الله محمد ﷺ على باطل أو به ضلال أو غواية، ولا مجال لتوجيه الاتهامات له بذلك، ولا مجال لتصديق ذلك عنه إطلاقًا، لو أنَّ الأمر يصل بتصديق ما لا يمكن حصوله، وهو سقوط نجم عظيم من السماء على أنْ يعتريه ﷺ أي من الشكوك.

المبحث التاسع
معانٍ قرآنية

1- ألقى:

الحقيقة أنَّ كلمة (ألقى) ومشتقاتها في القرآن الكريم، تأتي غالبًا بمعنى واحد، وهو مكان معين ومحدد ومقصود، قال تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 87]؛ أي أنه كان يأخذ الحلي من الزينة، ويلقي بها في أمكنة معينة ومحددة أشبه بالشكل الهندسي حتى أخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار.

قال تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: 39]؛ أي أنَّ المكان محدد ومعين، وهو أمام قصر فرعون.

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: 39]

أي أنَّ الله سبحانه وتعالى خصّه بهذه المحبة بالتحديد.

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: 150]

فلا يصح في حق النبي موسى ﷺ أنْ نقول أنه رمى الألواح على الأرض؛ لأنَّ ذلك غير صحيح، ولكن ألقاها من يده؛ أي: وضعها في مكان معين ومحدد ومعلوم لديه.

2- القذف:

كلمة (القذف)، تأتي بشكل عكسي تقريبًا من كلمة (ألقى)، وهي تعني السرعة، وعدم التحديد، والاتساع والشمولية، قال تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: 39]

فالأمر كان بشكل سريع وغير محدد وغير دقيق.

قال تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: 8]

هنا أيضًا السرعة والشمولية والاتساع، وعدم تحديد جهة معينة، ولكن القذف طال جميع الجوانب.

3- النبذ:

كلمة (النبذ) ومشتقاتها في القرآن الكريم تأتي غالبًا بمعنى الارتفاع للأعلى، وليس للأمام أو الخلف.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ [مريم: 16]

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم: 22]

ففي الآيتين الأولى والثانية اتّجهت إلى مكان بعيد ومرتفع.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: 40]

أي أنَّ الله جاء بهم من أسفل البحر بعد غرقهم إلى أعلاه، تطفو أجسامهم على سطح الماء.

قال تعالى: "فنبذناه بالعراء وهو سقيم"؛ أي أنَّ الله جاء به من ظلمات البحر وبطن الحوت إلى أعلاه، ومن ثم إلى الشاطئ.

4- البِر:

المعنى الحقيقي لكلمة (البر)، هو الاقتراب والارتباط، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]

أي لا يمكن أنْ يحصل الإنسان المسلم على الاقتراب من رحمة الله، والارتباط بمحبته عزّ وجل بالشكل الصحيح حتى ينفق مما يحب.

5- الفجور:

على النقيض تمامًا من كلمة (البر)، وهي بمعنى البعد عن الله عزّ وجل، وعدم الارتباط برحمته، ومن أهم السلوكات التي تؤدي إلى ذلك الكذب؛ لأنَّ الإصرار عليه يبعد الإنسان عن الله عزّ وجل.

6- الكيد:

الكثير من الناس يربط بين الكيد والنساء، ويتصورون أنه صفة من صفات المرأة، ولكن الحقيقة أنّ الشيطان له كيد، والكفار لهم كيد، والمعنى لهذه الكلمة هو العمل والتخطيط بالخفاء دون علم الآخر، فأي عمل تمّ تدبيره بالخفاء دون علم الطرف الآخر فهو كيد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: 34]؛ أي صرف عنه ما تمّ تدبيره بالخفاء منهن.

قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: 57]

7- المكر:

على العكس من الكيد، فالمكر يعني التخطيط العلني للإيقاع بالآخرين، وتهديدهم جهرًا.

قال تعالى: "فلما سمعت بمكرهن"؛ أي أنَّ المكر كان بشكل علني من النسوة بلومها واتهامها علنًا بالضلال المبين.

قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 33]

فالله عزّ وجل يتوعد الكفار الذين يمكرون للمؤمنين بمكر أشد وأعظم.

قال تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: 51]

فالكفر والإجرام العلني ومحاربة المؤمنين لا بُدَّ له من نهاية تدميرية.

8- الوهن:

الحقيقة أنَّ كلمة (الوهن)، قد ذكرت في القرآن الكريم مرات عدة، وكذلك في السنة النبوية، وهي تعني بروز الشيء وظهوره للعلن؛ مما يؤدي بصاحبه للضعف، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 41]

دائمًا ما نرى أنَّ العناكب تبني بيوتها بشكل يعرضها للخطر والهدم المستمر، وذلك لأنَّ بيوتها بارزة وظاهرة أمام الجميع، فهي من أوهن

البيوت؛ بمعنى أنها أكثر البيوت انكشافًا، مما يجعلها محل استهداف مستمر بكل سهولة.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4]

فالنبي زكريا بلغ من العمر عتيًا لدرجة أنَّ عظام جسده أصبحت بارزة للجميع، فلحم جسده اختفى والعظام أصبحت بارزة في جلده، وهي علامة من علامات الكبر في السن والشيخوخة، نراها في كبار السن أو المرضى الذين يعانون من أمراض شديدة تؤدي إلى نحافتهم لدرجة بروز عظام وجوههم وأجسامهم.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14]

فالمرأة عندما تكون حاملًا يبدأ بطنها بالبروز والظهور التدريجي، وفي البداية لا يكون ظاهرًا للعلن، ولكنه تدريجيًا يبدأ يكبر ويظهر حتى يصبح مكشوفًا، لا تستطيع المرأة إخفاءه، وكلما زاد ظهوره زادت معاناة الحمل.

عن ثوبان ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "يوشك الأمم أنْ تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها". فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت".

يخبرنا النبي محمد ﷺ أنَّ الأمة سوف تتعرض لخطر الأعداء من جميع الجهات والأطراف؛ لأنَّ قلوب الناس يدخلها حب الدنيا وكراهية الموت ولا يكون ذلك إلا بالوهن.

فالإنسان المسلم يصبح حريصًا كل الحرص على حب الظهور، وإبراز ما لديه من قدرات وإمكانات وحوارات وثقافات لكي يتباهى بنفسه؛ مما يجعله عرضة للمؤامرات؛ لأنَّ حياته أصبحت مكشوفة وكذلك الحال نفسه للأمة بأكملها.

المبحث العاشر
كان على السفينة

قال تعالى: ﴿ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ [هود: 43]

الحقيقة أنَّ معظم التفسيرات لهذه الآية أكّدت أنَّ الحوار بين نبي الله نوح ﷺ وابنه كان قبل الصعود إلى السفينة عندما طلب من ابنه وهو يناديه أنْ يصعد معهم فأبى، وقال سآوي إلى جبل يعصمني ويحميني من الغرق، ومن هذه التفسيرات ما يلي: قال سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء؛ فيحفظني من الغرق، فأجابه نوح مبينًا له خطأه "قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين"؛ أي: قال نوح لابنه لا شيء يعصم أحد في هذا اليوم العصيب من عذاب الله الذي قضاه على الكافرين، فليس الأمر أمر ماء يُتقى بالأسباب العادية، إنما هو انتقام من أشرار العباد الذين أشركوا بالله وظلموا أنفسهم وظلموا بطغيانهم في البلاد، لكن يحفظ مَن رحم ويعصمه، وقد اختص بهذه الرحمة مَن حملهم في السفينة، وكان الماء قد بدأ يرتفع أثناء الحديث حتى حال بين الولد ووالده، فكان من المغرقين الهالكين.

ولكن الحقيقة تختلف تمامًا عمّا ذكر في كتب التفسير؛ لأنَّ ابن نبي الله نوح كان بالفعل متواجدًا على السفينة، ولكنه لم يكن مع أبيه والمؤمنين، بل كان في معزل عنهم؛ أي أنه كان متعلقًا بإحدى جوانب السفينة ممسكًا بأحد السلالم، أو بشكل آخر بالكيفية التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن ما يجب تأكيد هو أنَّ ابنه كان على السفينة، وأنَّ الحوار بينهما كان كما صوّره الله عزّ وجل في قوله: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى

مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [هود: 42]

والدلائل على أنه كان متواجدًا على السفينة كثيرة، ومنها:

1- سآوي:

لا يوجد معنى لكلمة الإيواء في القرآن والسنة واللغة العربية –والله أعلم– إلا بمعنى واحد، وهو النزول وليس الصعود أو اللجوء؛ أي أنه كان يتصور أنَّ بإمكانه النزول إلى أحد الجبال التي كانت تمر السفينة بجانبها بشكل من أشكال القفز أو ما شابه.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ [يوسف: 69]

أي أنزله من على راحلته، وأخذه معه، أو أنه أنزله من مكان تواجدهم إلى مكان آخر بعيد عنهم.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80]

فلقد تمنى نبي الله لوط عليه السلام لو أنه به قوة أو متواجدًا في منزل فيه ركن شديد، يستطيع دفع هؤلاء الكفار المعتدين الذين لا يراعون حرمة أحد؛ مما دفع الملائكة للتعريف عن أنفسهم أنهم ركن شديد في منزله، وذلك للتخفيف عليه، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: 81] إذن، فالركن الشديد موجود عنده في البيت، وهم الملائكة، ومن المعروف أنَّ البيت يسمى منزلًا من النزول فيه، ولا يصح أنْ نقول إنَّ الركن الشديد هو الله؛ لأنَّ نبي الله لوط لم يغفل عن الله ولو للحظة واحدة، كما أنَّ كلمة الإيواء تعني النزول.

2- الموج:

قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43]

هنا يتبيّن لنا أنه كان على السفينة؛ لأنَّ الموج قد ضرب إحدى جوانبها؛ مما أدى لسقوطه في الماء، فالسبب في غرقه هو الموج الذي فرّق بينه وبين أبيه نبي الله نوح عليه السلام، ولم يكن بينهما مسافة تذكر، ولو كان على الأرض لَما كان هناك موج؛ لأنه سوف يغرق قبل مجيء الأمواج من ارتفاع الماء، ولم يذكر الله غيره قد مات وهلك من الموج، ولكن الكفار الآخرين قد غرقوا من ارتفاع المياه، وهو مَن غرق وحده بسبب الموج.

3- ليس من أهلك:

قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45]

ففي هذه الآية تأكيد آخر أنَّ ابنه كان على السفينة؛ لأنَّ الله عزّ وجل كتب النجاة لكل مَن كان على السفينة في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: 40]

فقد طلب نبي الله نوح من الله عزّ وجل بموجب هذه الآية الرحمة والعفو والمغفرة لابنه؛ لأنه كان على السفينة، وهو من أهله، ولكن الرد الإلهي جاء بالفرض، قال تعالى: "قال يا نوح إنه ليس من أهلك"، فالمقصود هنا أنه ليس من أهلك الذين صعدوا على السفينة وكانوا معك، وشملتهم المغفرة الإلهية؛ لأنه لا يستحق العفو والمغفرة من الله عزّ وجل، لقد كان

كافرًا معاندًا متكبرًا، وما قام به من صعود على السفينة عمل غير صالح، خداع ومحاولة للنجاة فقط.

4- توقف الطوفان:

مما يؤكد أنه كان على السفينة توقف الطوفان بعد غرقه وموته مباشرة، وهو بذلك يكون آخر الكفار غرقًا.

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود:44]

المبحث الحادي عشر
أيدي النسوة

الحقيقة أنَّ معظم التفسيرات أكدت أنَّ حادثة نسوة المدينة عندما رأين يوسف عليه السلام، لم يستطعن تمالك أنفسهن من شدة جماله، وقطعن أيديهن، وهذا ما ورد في كتب التفسير.

قال تعالى: "فلما سمعت بمكرهن"؛ أي: ما تحدثن به في غيبتها، أرسلت إليهن وأعتدت لهن حفلة الطعام والشراب، فلما أخذن في الأكل يقطعن بالسكاكين الفواكه؛ كالأترج وغيره، أمرته أنْ يخرج عليهن، ليرينه فيعجبن برؤيته، فيذهلن عن أنفسهن، ويقطعن أيديهن بدل الفواكه التي يقطعنها للأكل، وبذلك تكون قد دفعت عن نفسها المعرة والملامة، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31]

(إنْ هذا إلا ملك كريم)؛ أي: ما هذا إلا ملك كريم، وذلك لجماله وما وهبه الله تعالى من حسن وجمال خِلقة وخُلقه.

لكن الحقيقة أنَّ المقصود بالتقطيع هو تقطيع أيديهن من الحبال (القيود) التي كانت مقيدة بها؛ لأنَّ امرأة العزيز كانت قد أعدت لهن مكانًا سريًا وغير معلن، وليس كما يقال في بيتها (القصر)، وأرسلت إليهن، وأجلست كل واحدة منهن على كرسي، وقامت بتقييد يد واحدة لكل امرأة منهن، وأعطتها في اليد الأخرى سكينًا، وأمرته بالخروج عليهن، فلما رأينه لم يتمالكن أنفسهن وحاولن الاندفاع تجاهه من شدة جماله، لكنهن لم يستطعن

فعل ذلك؛ لأنَّ أيديهن مقيدة بالمتكئات؛ مما دفع كل واحدة منهن أنْ تستخدم سكينها لقطع يدها من الحبال (القيود).

والدلائل على ذلك ما يلي:

1- يوسف في السجن:

لقد كان يوسف عليه السلام داخل السجن أثناء اجتماع امرأة العزيز بالنسوة، قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصّاغِرِينَ**﴾[يوسف: 32]

فكلمة (ليسجنن)، تؤكد وجوده داخل السجن؛ لأنها تعني التأكيد والتشديد على بقائه في السجن بشكل أطول وأشد مما كان هو عليه.

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ**﴾ [يوسف: 35].

هنا تأكيد آخر أنَّ يوسف –عليه السلام– كان داخل السجن، بمعنى أنه كان موقوفًا على ذمة التحقيق كما يقال في عصرنا؛ لأنَّ كلمة (الآيات)، تعني الأدلة ضده بعد جمعها وإقرارها، وكذلك كلمة (حين)؛ أي حكمه مدة معينة من الزمن.

2- الاجتماع السري:

الحقيقة أنَّ المكان الذي أعدته امرأة العزيز كان سريًا، وليس معلنًا، وقد يكون في مبنى السجن نفسه الذي كان فيه؛ لأنَّ نبي الله يوسف عليه السلام كان محتجزًا فيه بعد الحادثة مباشرة أو كان بالقرب منه، وما يؤكد ذلك:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ الِيمٌ﴾ [يوسف:25]

إذن، الزنا يعد في قانونهم جرم وذنب وسوء يعاقب عليه القانون، فلا يمكنها بعد ذلك أنْ تعقد جلسة أو اجتماعًا للمطالبة جهرًا بالسوء، وهي تعلم عواقب ذلك.

3- هوية النسوة

الحقيقة أنَّ النسوة لم يكن نساء عاديات في المجتمع، ولكنهن كنّ من هيئة القضاء والتشريع في ذلك الزمان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يوسف: 30]

لقد كان هذا هو رأي هيئة القضاء حسب ما تمّ تقديمه من أدلة وبراهين، في البداية أنّ امرأة العزيز هي المدانة في ذلك، وأنَّ هيئة القضاء تتوعدها بالعقوبة وتتهمها بالظلم والضلال المبين، ولكن امرأة العزيز عندما سمعت ذلك أرسلت إليهن دعوة حضور، ولا نستطيع الجزم أنها أرسلت إليهن بالحضور بشكل ودي أو أمر تهديد بحكم المنصب العالي لها؛ كونها امرأة العزيز.

4- النسوة والشهوة

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]

والكيد مفهومه التخطيط بالخفاء، فكل ما تمّ إعداده من امرأة العزيز والنسوة للإيقاع بنبي الله يوسف ومساومته على إخراجه من السجن، وتبرئته في مقابل التودد لهن، لا سيما امرأة العزيز كان في السر والخفاء.

5- التبرئة:

قال تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾** [يوسف: 50].

في هذه الآية تأكيد أنّ الملك لم يكن يعلم بهذه الحادثة من قبل، وقد فوجئ من رفض نبي الله يوسف قبول المنحة الملكية له بالإفراج عنه قبل أنْ يتأكد الملك بنفسه من براءته بشكل علني وصحيح، وأخبره بأنْ يستدعي النسوة، ويسألهن عنه، وهنا تأكيد أنَّ كلمة النسوة تعني هيئة القضاء أو التشريع فى ذلك الزمان، وليس نساء عاديات، كما يعتقد البعض، فما كان من الملك إلا أنْ أرسل إليهن على الفور؛ لأنهن شخصيات معروفة للدولة.

6- الاعتراف:

الحقيقة أنَّ امرأة العزيز لم تعترف بالحقيقة إلا بعد سنوات طويلة أمام الملك، وذلك رغمًا عنها، وليس رغبة منها؛ لأنَّ نبي الله يوسف -عليه السلام- أبلغ الملك برسالته بحنكة وذكاء، بأنْ يسأل النسوة وما فعلن معه في السّر والخفاء، ولم يطلب منه أنْ يسأل امرأة العزيز؛ لأنه على يقين -والله أعلم- أنها سوف تنكر الحقيقة مرة أخرى، كما نكرتها سابقًا، أو بحكم منصبها ومنصب زوجها، فلن يستمع الملك لرسالته باستجواب امرأة العزيز.

7- براءة ببراعة:

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: 51]

لقد استطاع يوسف ﷺ أنْ يثبت لنفسه البراءة ببراعة، عندما طلب من الرسول الرجوع إلى الملك، وأنْ يسأله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن؛ لأنهن سوف يقلن الحقيقة أمامه، ولن يستطعن إنكارها، ولن يقبلن بتحمل عواقب ذلك لأجل تبرئة امرأة العزيز؛ مما دفعها لقول الحقيقة كاملة هي والنسوة بشكل مفصل ودقيق دون إنكار شيء.

تفاصيل أخرى:

1-قطع الأيدي:

الحقيقة أنه لا يوجد تقطيع لأيدي النسوة نهائيًا، ولكن فقط المقصود تقطيع الحبال (القيود) التي كانت ملتفة على أيديهن، ولكن يمكن أنْ يكون هناك بعض الجروح من جراء ذلك -والله أعلم-.

2- خطبكن:

السؤال عندما يبدأ بكلمة خطبك أو خطبكن أو خطبكما أو خطبكم يكون المقصود منه الإجابة بالتفصيل، بحيث معرفة الحدث بالكامل؛ لأنه قد تمّ معرفته، ولكن المراد معرفة التفاصيل.

المبحث الثاني عشر
سر الشجرة

قال تعالى: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: 62-65].

قال تعالى: ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 60]

لقد اختلف الكثير من الناس في هذا الأمر؛ بل واعتبروه من أصعب ما ذكر الله في كتابه العزيز، وهو كيف يمكن أنْ تكون شجرة خضراء مثمرة تخرج من جهنم من بين النيران؟ وهل هي حقيقة أم مجرد تخويف إلهي للكافرين؟ وهل هي شجرة الزقوم أم لا ؟ وهل هي شجرة أم أشجار كثيرة؟

الحقيقة أنَّ هناك الكثير من التفسيرات والتأويلات حول هذا الموضوع بالذات، وسنأتي على بعض ما قد قيل في هذا الشأن لاحقًا، ولكن قبل البدء في توضيح هذا الأمر نقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء، فقدرة الله سبحانه وتعالى أكبر من ذلك بكثير، فهو جلّ في علاه صاحب الأمر، إنْ قال للشيء كن فيكون، وبالتالي يجب علينا ألّا نستصعب ذلك أبدًا، فالعقل البشري لا يستطيع إدراك الكثير من الأمور والخفايا على الأرض في الدنيا، وهي من حولنا، فكيف بنا نحاول فهم بعض ما لا يمكن رؤيته؟ ولكن للتوضيح أكثر نقول ما يلي:

1- الشجرة الملعونة المذكورة في كتاب الله عزّ وجل هي فعلًا شجرة الزقوم، ولا خلاف على ذلك، وهي ليست في الدنيا إطلاقًا، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾** [الصافات: 62-64]

من هنا نؤكد أنها هي شجرة الزقوم، ولا مجال للاجتهاد في غير ذلك -والله أعلى وأعلم-، كما أنها ليست موجودة في الدنيا إطلاقًا، والدليل على ذلك أيضًا من كتاب الله عزّ وجل في قوله تعالى: "إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم"، والجحيم هي نار جهنم، بالإضافة إلى حديث الرسول ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "لو أنَّ قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم".

2- الشجرة ليست واحدة، وإنما شجر كثير، ولا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله: "لأكلون من شجر من زقوم".

إذن، هنا تأكيد إلهي أنَّ الشجرة ليست واحدة، وإنما شجر كثير وغير معدود، وليس كما يظن البعض أنها شجرة واحدة.

3- الشجرة المذكورة في كتاب الله عزّ وجل هي حول جهنم، ولا تخرج من بين النيران كما يعتقد البعض، الحقيقة كما قلنا أنَّ الله قادر على كل شيء، فهو مَن يحيى ويميت، وأمره أنْ يقول للشيء كن فيكون، ولكن بالنسبة للشجرة الملعونة التي ذكرها الله لتخويف الكافرين، هي كما قلنا شجرة الزقوم، ولكن لا تخرج من نار جهنم، والدليل على ذلك في قوله تعالى: **﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾** [الصَّافَّاتِ: 66-68]

عندما نتأمل جيدًا في كلام الله سبحانه تعالى نجد فعلًا أنَّ تلك الشجرة غير موجودة في جهنم بين نيرانها؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى وصف لنا حال الكافرين عندما يأكلون من ثمارها، ويملؤون بطونهم منها، ومن ثم يشربون عليه ماءًا حميمًا، ثم بعد ذلك يرجعوا إلى الجحيم؛ أي نار جهنم، كما قال: "ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ"، هنا نجد الدليل القاطع على أنها ليست في جهنم "النار" ولكنها طعام لأهل النار من الكافرين، فبعد الأكل منها يعودون إلى الجحيم مرة أخرى؛ أي أنهم كانوا خارج الجحيم.

الحقيقة أنَّ الشجرة الملعونة ومكانها من جهنم واضحة، ولا تحتاج إلى الكثير من التفسير والتأويل حولها، وسنذكر حقيقتها بالكامل إنْ شاء الله كالآتي:

- الأصل:

عندما نعرف معنى كلمة الأصل سينتهي الأمر بشكل كبير، وذلك لأنَّ الإعجاز اللغوي مرتبط في هذه الكلمة العظيمة، فلو استمر البحث طوال العمر دون معرفة المقصود بكلمة أصل الجحيم لن يستطيع أحد مهما بلغ من العلم أنْ يعطي تفسيرًا واضحًا حول الشجرة الملعونة، وبالتالي نقول: إنَّ كل شيء له أصل، وأصل الشيء هو شكله الخارجي، مثال:

عندما نريد معرفة بعض الشعوب والأجناس مثل شعوب شرق آسيا والشعوب الأفريقية، عن طريق ما يتلفظ به من لغات ولهجات، وكذلك الحال نفسه عندما نريد معرفة طبيعة وماهيّة بعض الأواني والمعادن والسراميك.

- الشجرة الملعونة:

الحقيقة أنها تخرج في أصل الجحيم وليس من داخله، وأصل الجحيم هو شكله الخارجي؛ أي أنها تخرج في سور جهنم، وليس من داخلها؛ أي أنّ جهنم لها سور تخرج فيه هذه الشجرة، وبالتالي تتمدد عليه حتى أصبحت تلتف حوله بالكامل، كما هو الحال في الدنيا، فالشجر يتم زراعته حول سور المنزل، ومن ثم يبدأ بالتمدد عليه حتى يكاد يغطيه بالكامل، وبالتالي فالكفار يخرجون من الجحيم ليأكلوا من ثمارها المنتشرة على أسوارها، ثم يعودون إليه مرة أخرى.

- السور:

الحقيقة أنَّ الشجرة الملعونة لا تخرج من سور الجحيم، وإنما تخرج من جانبه، ومن ثم تتمدد عليه لدرجة تغطيته بسبب كثافتها؛ لأنها لو كانت تخرج منه لقال الله عزّ وجل تخرج من أصل الجحيم ليس في أصل الجحيم.

أخيرًا: بعض الاجتهادات حول هذا الموضوع، وسنذكر منها ما يلي:

قال تعالى: **﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾** [الصافات: 64]؛ أي في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها؛ أي ثمرها سمى طلعًا لطلوعه (كأنه رؤوس الشياطين)، قال ابن عباس: هم الشياطين بأعيانهم شبهها لقبحهم عند الناس.

المبحث الثالث عشر
أتموا الصيام

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 187]

الحقيقة أنَّ هذه الآية الكريمة أحلّ الله فيها جماع الرجل لزوجته ليلة الصيام؛ لأنه كان قبل ذلك محرمًا؛ مما أجهد الكثير من صحابة رسول الله ﷺ، فمنهم مَن غلبتهم الشهوة وقاموا بجماع زوجاتهم، ثم يأتون لرسول الله يعتذرون إليه ويتوبون إلى الله؛ لأنَّ الأمر فوق قدرتهم وطاقتهم فيتوب الله عليهم، ولمزيد من التوضيح نذكر ما يلي:

أولًا- أحل لكم:

الآية الكريمة في بدايتها تتكلم عن رحمة الله بالمؤمنين، فقد أحلّ سبحانه وتعالى جماع الرجل لزوجته في ليلة الصيام، وكان قبل ذلك محرمًا على الصحابة، وقد ورد في بعض كتب التفسير (أحل لكم ليلة الصيام الرفث)، بمعنى الإفضاء إلى نسائكم بالجماع، نزل نسخًا لما كان في صدر الإسلام من تحريمه، وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء.

ثانيًا- أتموا الصيام:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187].

الحقيقة أنَّ كلمة (التمام)، تعني الاستمرار بفعل الشيء ولكن بشكل جديد، كالإضافة عليه أو النقصان منه، بمعنى التعديل عليه (أتموا الصيام)، بمعنى أنّ الله عزّ وجل يأمر المؤمنين بالاستمرار في الصيام كما كانوا يصومون من قبل ولكن بشكل جديد، وهو (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)، وذلك لأنه كان ممنوعًا ومحرمًا عليهم، فالمقصود من تمام الصيام إلى الليل ليس المدة الزمنية كما يفهمها البعض، ولكن المقصود هو المحافظة على الصيام طوال النهار إلى الليل لمن أراد جماع زوجته؛ لأنّ الله عزّ وجل بعد أنْ أحلّ ليلة الصيام فيها الجماع بين الزوج وزوجته دون قيد أو شرط، أعاد سبحانه وتعالى تأكيد المقصود وهو الليل وليس النهار؛ لكي لا يحدث لبس عند المؤمنين، فيعتقدوا أنَّ التحليل للجماع في الليل والنهار (ثم أتموا الصيام إلى الليل)، بمعنى المحافظة والحرص الشديدين على الصيام في النهار إلى حلول الليل لكي يصبح مسموحًا ومباحًا لمن أراد جماع زوجته، فذكر الليل مقصده الجماع، وما يؤكد ذلك قوله تعالى: "ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد".

أي أنه من غير المسموح للمعتكف جماع زوجته؛ لأنه محرم عليه فعل ذلك، وقد جاء هذا التحريم مباشرة بعد (أتموا الصيام إلى الليل)، بمعنى أنّ المقصود بالليل هو كما قلنا مَن أراد جماع زوجته وليس إيذانًا بالإفطار.

المبحث الرابع عشر
المرأة والزوجة

الحقيقة أنَّ هناك الكثير من الاجتهادات في تعريف الفرق بين الزوجة والمرأة، لا سيما في كتاب الله عزّ وجل، وكلها تقريبًا أجمعت على أنّ لفظ الزوجة يعني الوفاق والمحبة بين الزوجين، وأنَّ هناك لغة تقارب وتفاهم كبيرة بينهما، ولكن على العكس تمامًا فإنَّ لفظ المرأة لا يعني ذلك كما وردت في بعض الاجتهادات والتفسيرات، ومنها ما يلي:

(المرأة): إذا كانت هناك علاقة جسدية بين الذكر والأنثى، وليس بينهما انسجام وتوافق فكري ومحبة، تسمى الأنثى هنا (امرأة).

(الزوجة): إذا كانت هناك علاقة جسدية، ويتوافق مع ذلك انسجام فكري وتوافق ومحبة، تسمى الأنثى هنا زوجة.

ولكن في الحقيقة إنَّ المعنى لكل من الزوجة والمرأة أبسط مما يتصوره الجميع، فالزوجة تسمى زوجة حتى لو أنَّ هناك عدم توافق ومحبة في جميع نواحي الحياة بينها وبين زوجها، وكذلك المرأة تسمى امرأة حتى لو كان هناك كل التوافق والاحترام بينهما، وللتوضيح أكثر نقول ما يلي:

أولاً: الزوجة:

هي التي يوجد بينها وبين زوجها علاقة جسدية (معاشرة جنسية)، ولا يوجد بينهما قطعية في هذا الأمر إطلاقًا، بالإضافة إلى القرب بينهما في المسافة؛ أي أنهما بجوار بعضهما البعض، وما يؤكد ذلك الكثير من الآيات القرآنية، ومنها:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَآآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: 35]

وهنا تأكيد إلهي على المعاشرة الجسدية (الجماع) بينهما في حال سكنا الجنة، وكذلك قربهما من بعضهما البعض في العيش والسكن.

قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ [الأحزاب: 28].

أيضًا لقد كان بين رسول الله ﷺ وزوجاته معاشرة جسدية لا تنقطع وقرب في العيش والسكن.

قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء: 90]

كما أنّ هنا دليل على المعاشرة الجسدية (الجماع) بين نبي الله وزكريا وزوجته بعد إصلاحها لهذا الأمر.

إذن، الزوجة هي مَن يكون بينها وبين زوجها معاشرة جسدية (علاقة جنسية)، بغض النظر عن مدى التوافق بينهما؛ لأنه ليس كل المتزوجين بينهم توافق فكري وعقلي ومحبة، بالإضافة إلى ذلك الرجل بطبيعته يختلف أصلًا فكريًا وعقليًا عن طبيعة المرأة التي تتحكم فيها العاطفة.

ثانياً: المرأة:

هي على العكس تمامًا، ليس بينها وبين زوجها أي نوع من أنواع المعاشرة الجسدية (الجماع) نهائيًا أو على الأقل لفترات طويلة جدًا، بالإضافة إلى بعدهما عن بعضهما في العيش والسكن في غالبية الأحيان أو بشكل دائم، ويمكننا ذكر بعض الأسباب لذلك:

1- العيش بعيدًا عن بعضهما.

2- الكبر في السن عند أحدهما.

3- عقم وهجران بينهما.

4- انقطاع الرغبة عن أحدهما.

5- كراهية وعداوة بينهما.

6- زواج الرجل من أخرى.

7- تلف أو مرض عند أحدهما.

8- سفر أحدهما فترات طويلة.

9- الأسر سنوات طويلة.

وهناك من القرآن ما يظهر ذلك جليًا في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: 4]

الله عزّ وجل يؤكد مدى التوافق بينهما في المعاداة لرسوله ﷺ فكريًا وعقائديًا، وعلى الرغم من ذلك، فقد سماها الله امرأة؛ وذلك لعدم وجود علاقة جسدية بينهما نهائيًا أو في أغلب الأحيان، وذلك لكبر في السن أو المرض أو الزواج من غيرها وهجرانها... إلخ.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود: 71]

وهنا امرأة نبي الله إبراهيم لم تكن بينها وبينه عليه السلام أي علاقة جسدية (المعاشرة)، وذلك بتأكيدها ذلك عقب بشرى الملائكة لها بأنها سوف تحمل، قال تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [هود: 72]

وفي قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: 10]

كما أنَّ هنا تأكيد إلهي كامل على انقطاع العلاقة الجسدية (المعاشرة) بين كل من نبي الله نوح وامرأته، وكذلك الحال نفسه بين نبي الله لوط وامرأته؛ لأنه ليس من الممكن إطلاقًا أنْ يكون بينهما وبين زوجتيهما الكافرتين مثل هذه العلاقة؛ لأن القطيعة شاملة فكريًا وعقائديًا وكذلك جسديًا، ولا يصح أنْ يقال غير هذا الكلام في حقهما -عليهما السلام-.

إلى جانب ذلك، يمكن أنْ يطلق لفظ امرأة على الفتاة في سن الزواج، وما يؤكد على ذلك: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23]

ففي هذه الآية تأكيد إلهي على أمرين، وهما:

1- أنهما غير متزوجتان نهائيًا.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: 27]

2- بعدهما مسافة ملحوظة عن الرجال

وهنا أيضًا تأكيد أنَّ لفظ المرأة يطلق على البعد بين الطرفين، فكلما كانت بعيدة الأنثى عن الرجل في الزواج وغير الزواج كانت امرأة، وكلما كانت قريبة جدًا منه في الزواج كانت زوجة.

المبحث الخامس عشر
العام والسنة

الحقيقة أنَّ من أكثر ما تمّ البحث حوله هو قضية السنة والعام، وأيهما أفضل من حيث الخير والبركة وسعة العيش والرزق، ولكن قبل توضيح الفرق بينهما، يجب علينا ذكر بعض الآيات التي تتكلم عنهما:

أولًا : السَّنة

قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26].

قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14]

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف: 15]

قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: 47]

قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: 96].

ثانيًا: العام

قال تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: 259]

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 49]

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14]

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: 126].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: 37].

لا شكَّ أنَّ هناك فرقًا بين السنة والعام؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى لم يذكر كلمة لمجرد الذكر فقط، وإنما لِما لها من معانٍ وفوائد كثيرة، وبالتالي عندما ننظر جيدًا إلى الآيات السابقة وغيرها من الآيات الأخرى في كتاب الله سبحانه وتعالى، نجد أنه لا فرق بين السنة والعام بشكل ملحوظ، فلو قلنا أنَّ السنة دليل على الشقاء والمتاعب وعدم الخيرية، فهذا لا يمكن أنْ يكون صحيحًا، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: 15]

فهل يمكن أنْ يكون الشقاء وعدم الخيرية في أربعين سنة من عمر الإنسان؟

الحقيقة أنه يكاد أنْ يكون مستحيلًا، كما أنه لا يتطابق مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 14]

وكذلك من المستحيل أيضًا أنْ يكون الخير فقط في خمسين عامًا، وعدم الخيرية مطلقًا في تسعمائة وخمسين سنة، كما أنَّ العام لا يدل على

الخير بالشكل الذي يتصوره الكثير من الناس، فأي خيرية؟ مع هذه الفتن والمصائب المذكورة في الكثير من الأعوام، كما ورد ذلك في بعض الآيات القرآنية السابقة إلى جانب بعض الآيات الأخرى المذكورة فيها كلمة عام، فلا يوجد فيها الخير والزيادة والبركة الدائمة، ولكن لكي لا يلتبس الأمر على كثير من الناس نريد توضيح الفرق الصحيح بين السنة والعام بشكل واضح وجلي، فنقول ما يلي:

أنه ليس من الخطأ استخدام أحد اللفظين في كلامنا، ولا توجد مشكلة في ذلك، ويمكننا تحديد الفرق بينهما كالآتي:

1- عندما يكون الخير أكثر من الشر في السنة لا بُدَّ من تسميتها عام والعكس صحيح.

2- عندما تكون السنة مليئة بالحزن والألم والشقاء والتعب وفي نهايتها خير تلفظ عام، كما هو الحال في عام الحزن، على الرغم من موت أبي طالب وموت أمنا خديجة -رضي الله عنها- ومدى حزن وألم النبي محمد ﷺ ولكن بسبب معجزة الإسراء والمعراج وهو خير كبير وعظيم وملحوظ سمي عام الحزن، ولم يسمى سنة؛ لأنّ فيه من الحزن الكثير، ولكن حادثة الإسراء والمعراج جعلته عامًا؛ لأنها جاءت بالخير والبركة والزيادة.

3- عندما يكون التحصيل قليلًا والفوائد غير كبيرة في السنة تسمى سنة وليس عامًا، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26]

في هذه الآية دليل على قلة التحصيل في هذه السنين، وكذلك عدم وجود فوائد كبيرة غيرت الحال بشكل جذري وملحوظ، ولكن تلك السنين كان فيها من الخير الكثير، والتحصيل والفوائد النهائية في كل سنة لم تكن كبيرة، ولم تكن على قدر المتاعب والمشاق التي بذلت فيها.

أخيرًا ... لا بُدَّ وأنْ نعرف أنّ السنة ليس كلها شقاء ومتاعب ومصائب، ولكن فيها قلة في الخير والزيادة والبركة التي لا تتناسب مع المتاعب والمشاق التي بذلت فيها، وكذلك العام ليس دليلًا على الخيرية المطلقة، وأنه خالٍ من حدوث مصائب ومشكلات، وربما حروب وكوارث، ولكن فيه حدث سيكون من ورائه طفرة في الخير والبركة والزيادة الملحوظة؛ مما يجعل الإنسان في حالة من الراحة والرضا أكثر من السنة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

80 شخصية مشهورة في القرآن الكريم، حفني المحلاوي، القاهرة، دار النشر للجامعات، ط1، 2013م.

أوراق من الجعبة: رؤى وخواطر وسوانح، نزار عبيد مدنى، دمشق، مكتبة العبيكان، ط1، 2020م.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ- 2003م.

تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946م.

در *الاسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة*، محمود بن حمزة الحسيني الحمزاوي، القاهرة، دار الكتب العلمية، ط1، 2012م.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط1، (د.ت).

زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط1، لبنان، دار الفكر، 1987م.

لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1415 هـ.

مدارج الكمال في روح الأعمال، إكرام جلال كريم، القاهرة، دار الكتب العلمية، ط1، 2020م.

المؤامرة الكبرى على بلاد الشرق، محمود يوسف الكبرا، دمشق، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2020م.

الموسوعة الكبرى لأطراف الحديث النبوي الشريف، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، ط1، (د.ت).

نبوءات نبي الإسلام في علامات الساعة الكبرى والصغرى، محمد فهم الحمدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1971م.

"هذا الكتاب"

- ❖ إبليس والشيطان: الفرق بين اللفظين في القرآن الكريم، ومعنى كلًا منهما.
- ❖ الكيد الشيطاني: المخطط الذي قام به إبليس للإيقاع بآدم وزوجه -عليهما السلام- وكيفية استطاعته فعل ذلك الجرم.
- ❖ سر الشجرة: الشجرة الملعونة التي تخرج في أصل الجحيم وما حقيقتها ؟ وهل هي شجرة الزقوم أم لا؟
- ❖ أيدي النسوة: النسوة اللائي قطعن أيديهن عندما رأين يوسف -عليه السلام- وكيفية حدوث ذلك بشكل دقيق ومفصل.
- ❖ السماء والجنة: وما المقصود الصحيح في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133] وقوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: 21]
- ❖ المرأة والزوجة: الفرق الحقيقي بين الكلمتين، ومتى يطلق كل لفظ منهما بشكل دقيق وصحيح.
- ❖ العام والسنة: وما الفرق بينهما؟ وهل يمكن عَدُّها واحدًا في المعنى.